

يجدونه مكتوبًا عندهم

יִמְצָאוּהוּ כָּתוּב אִתָּם

تنبيه أولي الألباب إلى صفة محمد ﷺ في أسفار أهل الكتاب

فيصل بن علي الكاملي

يجدونه مكتوبا عندهم

تنبيه أولي الألباب إلى صفة محمد ﷺ في أسفار أهل الكتاب

الطبعــة الأولـى



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كاملي، فيصل علي

يجدونه مكتوباً عندهم. / فيصل علي كاملي - الرياض،

١٤٣٤هـ

١٩٤ص؛ ١٤/٥ , ٢١سم

ردمك: ٠-٢٣-٨١٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- السيرة النبوية ٢-الشمائل المحمدية أ. العنوان

ديوي ٦ , ٢٣٩ ١٤٣٤/٢٠١٢

رقم الإيداع: ٢٠١٢/ ١٤٣٤

ردمك: ٠-٢٣-٨١٠١-٦٠٣-٩٧٨

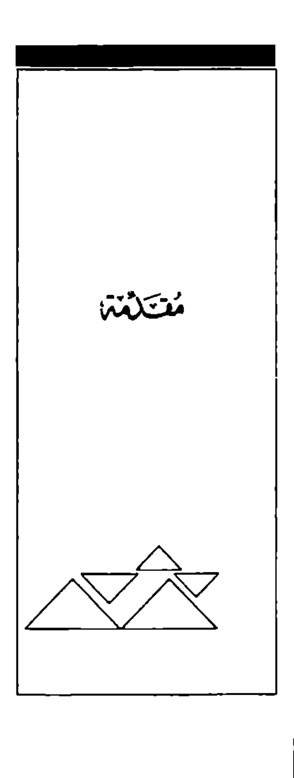
يجدونه مكتوباً عندهم

تنبيه أولي الألباب إلى صفة محمد ﷺ في أسفار أهل الكتاب

فيصل بن علي الكاملي


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، الرسول النبي الأمي ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

أما بعد، فهذه رسالة وجيزة في بعض ما جاء من صفات المصطفى ﷺ في أسفار أهل الكتاب، سطرتها لتكون تذكرة للمؤمنين وتبصرة للغافلين وحجة على المعاندين. ولست في ذلك رائداً، فقد سبق إلى بيان ذلك السابقون؛ فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ. قَالَ: أَجَلْ وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ

الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا. [صحيح البخاري].

لكنني أحسب أني بذلت وُسعي في الرجوع إلى مصادر القوم؛ فبيَّنت الغامض، وصححت السقيم، وأبطلت دعاوى الخصوم؛ حتى يكون في ذلك مزيد حجة. لكنني لم أذكر كل ما وقع تحت يدي من إشارات في أسفار أهل الكتاب لأسباب منها: قناعتي بأن بعض ما يُظن أنه من البشارات ليس كذلك، كذكر اسم محمد ﷺ في سفر نشيد الأنشاد؛ كما أنني حرصت على الإيجاز فلم أذكر من البشارات ما يتطلب سرداً تاريخياً قد ينوء بالقارئ غير المختص. ولعل فيما أوردته كفاية لمن كان متجرداً للحق غير متعصب لهواه.

وقد قسَّمت الكتاب إلى أربعة فصول. الفصل الأول: وأوردت فيه بعض إشارات أسفار أهل الكتاب إلى زمن ظهور نبي آخر الزمان. الفصل الثاني: وأشرت فيه إلى الموطن الذي ذكر فيه اسم نبي آخر الزمان صراحة في أصله العبراني. الفصل الثالث: وذكرت فيه تمجيد قبلة النبي الخاتم في كتب القوم وأنها ستكون مثابة للناس. الفصل الرابع: وأوردت فيه بعض تباشير أسفار أهل الكتاب بظهور أمة النبي الخاتم على غيرها من الأمم.

ختاماً: لا أنسى من كان له بالغ الأثر في حياتي؛ والدتي التي كانت لي خير معين، فحال بيني وبينها اليقين، ولئن كانت في حياتها واعظة لي مُذكرةً، فإنها اليوم أوعظ. فإن أفدتَ – أُخيَّ – شيئاً من هذه الورقات فلا تبخلنْ عليها بدعوة بظهر الغيب، فإنما هذا الجهد وصاحبه حسنة من حسناتها.

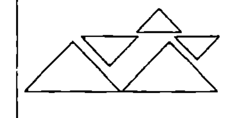
أسأل الله أن يغفر لها ويرحمها، وأن يكرم نزلها، وأن يبلغها منازل الصديقين. كما أسأله أن يجعل ما سطرته زاداً إلى حسن المصير إليه، وعتاداً إلى يمن القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فيصل بن علي الكاملي

popedia@windowslive.com

الفصل الأول

نبي آخر الزمان ﷺ



مدخل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

"العلم بنبوة محمد ﷺ ونبوة المسيح عليه السلام لا يتوقف على العلم بأن من قبلهما بَشَّر بهما، بل طرق العلم بالنبوة متعددة. فإذا عُرفت نبوته بطريق من الطرق ثَبَتت نبوته عند من علم ذلك وإن لم يعلم أن من قبله بَشَّر به. لكن يقال: إذا كان الواجب أو الواقع أنه لا بد من إخبار من قبله بمجيئه وأن الإشعار بنسخ شريعة من قبله واجب أو واقع؛ صار ذلك شرطاً في النبوة، ومن علم نبوته علم أن هذا قد وقع وإن لم ينقل إليه.

فإذا قال المعارض: عدم إخبار من قبله به يقدح في نبوته، وأنه إذا قدر أنه لم يخبر به من قبله والإخبار شرط في النبوة كان ذلك قدحاً.

قيل: الجواب هنا من طريقين، أحدهما: أن يقال إذا علمت نبوته بما قام عليها من أعلام النبوة فإما أن يكون تبشير من قبله لازماً لنبوته واجباً أو واقعاً، وإما أن لا يكون لازماً. فإن لم يكن لازماً لم يجب وقوعه، وإن كان لازماً علم أنه قد وقع وإن كان ذلك لم ينقل إلينا، إذ ليس كل ما قاله الأنبياء المتقدمون علمناه ووصل إلينا، وليس كل ما أخبر به المسيح

ومن قبله من الأنبياء وصل إلينا، وهذا مما يعلم بالاضطرار.

ولو قدر أن هذا ليس في الكتب الموجودة لم يلزم أن المسيح ومن قبله لم يذكروه بل يمكن أنهم ذكروه وما نُقل، ويمكن أنه كان في كتب غير هذه، ويمكن أنه كان في نسخ غير هذه النسخ فأُزيل من بعضها ونسخت هذه مما أزيل منه، وتكون تلك النسخ التي هو موجود فيها غير هذه، فكل هذا ممكن في العادة لا يمكن الجزم بنفيه. فلو قدر أنه ليس في هذه الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب لم يقطع بأن الأنبياء لم يبشّروا به.

فإذا لم يمكن لليهود أن يقطعوا بأن المسيح لم يبشر به الأنبياء ولا يمكن أهل الكتاب أن يقطعوا بأن محمداً ﷺ لم يبشّر به الأنبياء، لم يكن معهم علم بعدم ذلك؛ بل غاية ما يكون عند أحدهم ظنٌّ لكونه طَلَب ذلك فلم يجده. ودلائل نبوة المسيح عليه السلام ومحمد ﷺ قطعية يقينية لا يمكن القدح فيها بظن، فإن الظن لا يدفع اليقين، لا سيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن محمداً كان مكتوباً باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء كما في صحيح البخاري ...".[1]

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩ هـ)، ٥/ ١٥٣.

ومع هذا فإن الإشـارات إلى اسـمه ﷺ وظهور أمته على الأمم وتحـول قبلته، مـا زالت موجودة فيها بـين أيدي اليهـود والنصارى مما يؤمنون بصحته من كتبهم ومما يخفونه مما سيأتي بيانه، والله المستعان.

* * *

رؤيا الأسابيع

الكتابات المنحولة:

قبل الحديث عن رؤيا الأسابيع يجدر بنا التعريف بأسفار الـ«سوديبيجرافا» أو «الكتابات المنحولة» التي تضم هذه الرؤيا؛ فهي عبارة عن مجموعة من الكتابات القديمة التي لم تجد مكانها بين الأسفار القانونية عند أهل الكتاب، ويعود تاريخ أقدمها إلى القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد، وقد نسبت إلى غير كُتابها على رأي أكثر العلماء، وهذا سبب وصفها بالمنحولة. من هذه الأسفار «سفر أخنوخ» و«رؤيا إبراهيم عليه السلام» و«عهد موسى عليه السلام».

لكن نسبة هذه الأسفار إلى غير كاتبها الأصلي لا يعيبها في نظر علماء أهل الكتاب، فهذا حال أكثر الأسفار القانونية المعتبرة عندهم. يؤكد هذه الحقيقةَ المرجعُ المعتبرُ المعروف بـ«قاموس آنكور الكتابي» إذ يقول:

> أكثر العلماء لا يهتمون لعجزهم عن تعريف الـ«سوديبيجرافا» أو الكتابات المنحولة. فهم يتفقون على أن بعض الكتابات في العهدين القديم والجديد منحولة كذلك، على سبيل المثال:

مزامير داود، وأمثال سليمان، والرسائل المنسوبة خطأً إلى بولس، لا سيما رسالته إلى العبرانيين والكولوسيين والرسائل الرعاوية.[١]

فنحن عندما نستشهد بهذه الأسفار المنحولة فإننا نستشهد بوثائق وكتابات لا تقل في قيمتها العلمية أو التاريخية عن الأسفار القانونية، بل قد تفوقها أحياناً كما هو حال «سفر أخنوخ» الذي كان مرجعاً لبعض كُتاب العهد الجديد كما سيأتي. وإنما بدأت بالبشارات الموجودة في هذه الأسفار لخفائها على كثير من الباحثين، فيكون ذلك مدعاة لانتشارها، ولأنها ترسم لنا خلفية تاريخية واسعة ورائعة قبل الانتقال إلى تفاصيل البشارات الأخرى.[٢]

سفر أخنوخ و«رؤيا الأسابيع»:

سفر أخنوخ أحد الأسفار المنحولة كما سبق، وينسب إلى أخنوخ، الذي هو إدريس ﷺ كما يرى بعض العلماء، وهو أحد أجداد نوح ﷺ. يعد هذا السفر من الأسفار القانونية المعترف بها في الكنيستين

(1) The Anchor Bible Dictionary (New York: Doubleday, 1992), vol. 5, p. 538.

(٢) سبق إلى الإشارة إلى بشارات الأسفار المنحولة الدكتور هشام طلبة والدكتور نصر الله أبو طالب فوجب الاعتراف لهما بالأسبقية جزاهما الله خيراً.

الأرثوذكسـية الإثيوبيـة والأرثوذكسـية الإريترية، ويوجـد كاملاً في مخطوطتـه الجعزيـة (اللغـة الإثيوبية القديمـة)، مع قِطَـع بالآرامية من مخطوطـات البحر الميت، وبعـض القطع باليونانيـة واللاتينية. لذا فإن الرأي السـائد عند الكنيسـة الإثيوبية أنه كتب في أصله باللغة الجعزية، بينما يرى غيرهم من العلماء أنه دُوِّن بالآرامية أو بالعبرية.

ثمة إشـارة إلى سفر أخنوخ في رسالة يهوذا من العهد الجديد، إذ تقول الرسـالة: "وَتَنَبَّأَ عَنْ هؤُلاَءِ أَيْضًا أَخْنُوخُ، السَّابعُ مِنْ آدَمَ، قَائِلاً: «هُـوَذَا قَدْ جَـاءَ الرَّبُّ فِي رَبَوَاتِ قِدِّيسِـيهِ، لِيَصْـنَعَ دَيْنُونَـةً عَلَى الْجَمِيعِ، وَيُعَاقِبَ جَمِيعَ فُجَّارِهِمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ فُجُورِهِمُ الَّتِي فَجَرُوا بِهَا، وَعَلَى جَمِيـعِ الْكَلِمَاتِ الصَّعْبَةِ الَّتِـي تَكَلَّمَ بِهَا عَلَيْهِ خُطَاةٌ فُجَّارٌ»."[١] وهذا موجود بتمامه في سـفر أخنوخ الأول (١ : ٩)؛ بل إن الموسوعة الكتابية Encyclopedia Biblica تـرى أن كُتّـاب العهد الجديد كانوا على دراية بسـفر أخنوخ وأنهم تأثروا به فكراً وأسلوباً.[٢]

---

(١) يهوذا (١: ١٤، ١٥).

(2) Encyclopedia Biblica (New York: The Macmillan Company, 1899), "Apocalyptic Literature", vol. I, column 220.

يتضمن سفرُ أخنوخ رسالة تُعرف بـ«رسالة أخنوخ»، وهذه الأخيرة تتألف من خمسة أقسام، أحدها «رؤيا الأسابيع» The Apocalypse of the Weeks التي هي موضوع بحثنا. وبما أن الحديث عن رؤيا الأسابيع يتطلب بعض التفاصيل التي قد لا تهمّ كثيراً من القراء غير المختصين، مع حرصي على تيسير المراد دون القصور عن تقديم الدليل؛ فقد آثرت أن أقتبس كلاماً لأحد الأعلام في هذا الشأن يوجز ما نريد بيانه. هذا العَلَم هو «حانان إيشيل» أستاذ مخطوطات البحر الميت الأسبق في جامعة «بار إيلان» بتل أبيب. يقول «إيشيل»:

«رؤيا الأسابيع» هي رؤيا تسجل تاريخ العالم بأسلوب وجيز جداً، إذ تقسمه إلى وحدات زمنية معينة تدعى «أسابيع». وكل أسبوع منها يحوي وصفاً بالإيجاب أو بالسلب. رؤيا الأسابيع محفوظة في رسالة أخنوخ التي هي واحد من المؤلفات التي يشتمل عليها أخنوخ الأول (الفصول ٩٠-١٠٥). في النسخ الإثيوبية لأخنوخ الأول، تقسَّم رؤيا الأسابيع إلى قسمين: ٩٣: ٣-٩ وتصف سبعة أسابيع من خلق العالم إلى نهاية الأيام؛ و٩١: ١٢-١٥ وتصف الأسابيع الثلاثة الأخيرة

التي يدين فيها الرب العصاة ... وعلى غرار «ر. هـ. تشارلز»
فإن جمهور العلماء يفضّلون نقل الأسابيع الثلاثة الأخيرة إلى
نهاية رؤيا الأسابيع. يؤيد هذا ما وُجد في النسخة الآرامية
لسفر أخنوخ الأول من لفائف قُمران، حيث تأتي الأسابيع
الثلاثة عقب رؤيا الأسابيع السبعة. فإجماع العلماء إذن على
أن المرء بحاجة إلى أن يميز بين رؤيا الأسابيع السبعة التي
تصف أزمنة تاريخية حقيقية، وبين الأسابيع الثلاثة الأخيرة
التي تتناول ما وراء التاريخ meta-history.»[1]

وعليه، فلن أخرق هذا الإجماع بين علماء أهل الكتاب،
وسأرتب النص كما أرادوا. ولكن قبل الشروع في ذلك ينبغي أن
نحدد التاريخ الذي كتبت فيه هذه الرؤيا فإنها لو لم تكن قد سطرت
قبل بعثة المصطفى ﷺ ما كانت حجة في بابها، إذ سيرِد عليها احتمال
أن تكون مما دَوَّنه المسلمون ونسبوه إلى غابر الأزمان، كما قيل عن
«إنجيل برنابا» الشهير.

(1) Hanan Eshel, "Dibre Hame'orot and the Apocalypse of Weeks" in Things Revealed, ed. Esther G. Chazon, et al. (Leiden: Brill, 2004), p. 149.

لكن اليهودي «إيشيل» قد كفانا المؤونة بقوله: "ومن المتفق عليه [عند العلماء] كذلك أن «رؤيا الأسابيع» أقدم رؤيا تاريخية يهودية باقية، وأنه ينبغي أن تؤرَّخ بمنتصف القرن الثاني قبل الميلاد."(١) أي قبل بعثة خاتم النبيين ﷺ بأكثر من سبعمائة عام. وهناك من أعاد تاريخ كتابتها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، كـ «جيمس تشالرزورث» محرر أشهر طبعة للأسفار المنحولة.(٢) بل ذهب الأب «ترتوليان» (١٦٠-٢٢٥م) - وهو من أكابر علمائهم والملقب بـ "أبي النصرانية اللاتينية"(٣) - إلى أن سفر أخنوخ كتبه أخنوخ نفسه (إدريس ﷺ) بوحي من الرب، أي قبل زمان نوح ﷺ، وأفرد «ترتوليان» لذلك فصلاً أسماه «حول أصالة نبوءة أخنوخ».(٤) وأياً كان الأمر فإننا سنُسلِّم جدلاً لإجماع العلماء المعاصرين على أنه كُتِبَ في منتصف القرن

---

(1) Hanan Eshel, p. 150.

(2) David N. Freedman, ed. The Anchor Bible Dictionary (New York: Doubleday, 1996), vol. V, p. 539.

(3) Marcus Aurelius, The Apology of Tertullian, trans. William Reeve & Jeremy Collier (Griffith Farran & co., 1894), p. vii.

(4) Rev. Alexander Roberts. The Ante-Nicene Fathers: the Writings of the Fathers Down to A.d. 325 (Cosimo, Inc., 2007), vol. IV, p. 15.

الثاني قبل الميلاد فهو كافٍ لإثبات قِدم البشارة التي نحن بصددها.

بقيت الإشارة إلى أمر مهم، وهو أن الرؤيا تقسِّم تاريخ العالم إلى عشرة أسابيع؛ وليس ثمة ما يحدد مدة هذه الأسابيع صراحة، ولذا وقع فيها الخلاف بين علماء أهل الكتاب على أقوال منها الغث ومنها السمين. يقول «روجر بيكويث» في كتابه «التقويم والتسلسل الزمني»:

من الملاحظ أن حدثاً واحداً مهماً على الأقل يحدث في كل أسبوع من هذه الأسابيع، ولكن في أربعة منها (السادس والسابع والثامن والعاشر) تجري عدة أحداث مهمة؛ وكذا في سبعة من الأسابيع (الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والعاشر) يحصل حدث مهم في "منتهاه" أو في "الجزء السابع"، ولا يقع هذا في الثلاثة الأخر. وهذا يدل على أن الأسابيع لا تتبع طولاً غير محدد أو عشوائياً، كما يفترض أحياناً؛[1] وإلا لتوقع المرء أن يكون هناك حدث مهم واحد في كل أسبوع، وأن ينتهي الأسبوع بحدوث الحدث

---

(١) الكاتب هنا يرد على أمثال «ج. ت. ميليك» J. T. Milik ممن زعموا أن هذه الأسابيع تدل على حقب من التاريخ لا يطَّرد فيها طول الوحدات الزمنية المستعملة (الأسابيع).

دائماً، وليس أحياناً. هذه النتيجة تؤيدها الأدلة التي تم بحثها [فيما سلف من كتابه] والتي تبرهن على أن الإسينيين تحروا الدقة في قياس الزمن وانتظروا أحداثاً مهمة تحصل في فترات منتظمة يتم حسابها بضرب العددين المقدّسين ٧ و ١٠ بعضهما أو بنفسيهما. والكلمة "أسبوع" نفسها تتضمن العدد ٧، ولكن السؤال هو: سبعةُ ماذا؟ فالأسابيع هنا ليست أسابيع من الأيام أو الأعوام، فهذا زمن قصير جداً، فمم تتألف هذه الأسابيع إذن؟"[1].

ثم يعرض «بيكويث» الرأيين السائدين في هذه المسألة فيقول: "الرأيان الحقيقان بالنظر هما: [الأول] أن ١٠ أسابيع تعني أسابيع من الأجيال، و[الآخر] أنها أسابيع من القرون. لكن الاقتراح الأخير كما سنرى له حظ من المصداقية، بينما يبدو الأول ناتجاً عن سوء فهم مُطبق."[2]

---

(1) Roger Beckwith. Calendar and Chronology (Boston: Brill Academic Publishers, 2001), p. 244.

(2) Roger Beckwith. Calendar and Chronology, p. 244.

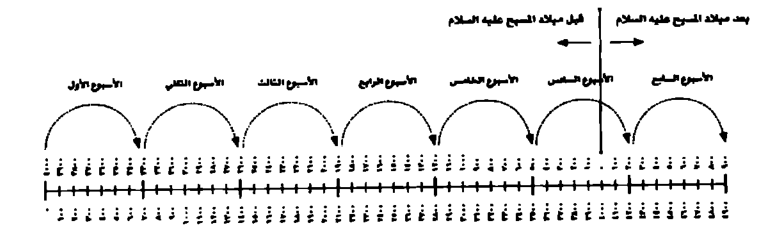
يؤيد هذا ما ذهب إليه «رتشارد لورنس» في تعليقه على الأسبوع الأول من الرؤيا بقوله: "من الواضح في نمط الحساب المتبنى هنا أن اليوم يقوم مقام مائة عام. وبناء عليه يكون الأسبوع تعبيراً عن سبعمائة عام."[(1)]

فنحن إذن أمام نص للعَدد فيه دلالة واضحة كما يرى «بيكويث» ويؤيده «لورنس»، وأسابيعه يتألف الواحد منها من سبعة قرون. أي أن كل أسبوع من الأسابيع السبعة الأولى التي تعنينا في هذه الرؤيا، يعدل ٧٠٠ عام. وهذا المنهج الذي اقترحه «بيكويث» هو الذي سأسير عليه هنا مع بيان أخطاء علماء أهل الكتاب في تحليلهم للرؤيا.

وقد جعلتُ بداية خلق آدم ﷺ قبل الميلاد بأربعة آلاف عام تقريباً، معوِّلاً على التوراة العبرانية التي هي عمدتهم، ولا يزال هذا التقدير هو الشائع عند من يقول بعصمة الكتاب المقدس؛ ومن مشاهير من قالوا به العالم الإيرلندي الشهير «جيمس أشر» الذي اعتمده في تقويمه المعروف بـ «تقويم أشر» Ussher Chronology، والحاخام «يوسي بن حَلَفتا»، والقديس «بِيد» الملقب بالمبجل، والسير «إسحاق نيوتن»، مع اختلاف يسير بينهم. وإنما اعتمدت هذا التقدير من باب إلزام المعارض فهو حجة عليه لا علي.

(1) Richrard Laurence. The Book of Enoch, the Prophet (Oxford: 1838), p. 242.

الخط الزمني لرؤيا الأسابيع



وقـد آثرت أن أترجم نص الرؤيا عن الإنجليزية بنفـي معتمداً النسخة المحققة التي نشرها «تشـارلز» في كتابه «سفر أخنوخ»[1]، لِما رأيـت مـن عدم الدقـة أحيانـاً في الترجمـات العربية المتاحة. وسـأورد النص أولاً ثم أعلق عليه.

رسالة أخنوخ، رؤيا الأسابيع، الإصحاح ٩٣:

١. ثم طفق أخنوخ يروي من الكتب.

٢. فقـال أخنـوخ: عـن بني الـبر، وعن صفوة الخلـق، وغراس الاسـتقامة - عن هـؤلاء أحدثكم وأبلغكـم - أنا أخنـوخُ - أي بَنِيّ، كـما ظهـر لي في الرؤيا السـماوية، وعَلمـت من كلام الملائكـة الأطهار، وتعلمت من ألواح السـماء.

٣. فطفـق أخنوخ يـروي من الكتب [قائلاً]: ولدت السـابع في الأسبوع الأول، إذ لم يزل الحكم والبر باقيين.

٤. ويحل بعدي في الأسـبوع الثاني شر عظيم، ويظهر المكر؛ وفيه تكون النهاية الأولى، وفيه يُنجى إنسـان. وبعد أن ينقضي يتعاظم الإثم

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (Oxford: The Clarendon Press, 1893), p. 271.

ويصنع الرب شريعة للخطاة.

٥. وبعدئـذ، في الأسـبوع الثالـث، في منتهـاه، يُصطفى إنسـان ليكون غراس الحكم البار، ووراءه يقوم أبداً غراس البر.

٦. وبعدئذ، في الأسـبوع الرابـع، في منتهاه، ترى رؤى القدوس والبار، وتصنع لكل الأجيال القابلة شريعة، وحظيرة لهم.

٧. وبعدئـذ، في الأسـبوع الخامـس، في منتهاه، يبنى بيت المجد والملكوت إلى الأبد.

٨. وبعدئـذ، في الأسـبوع السـادس، كل الذيـن يعيشـون فيـه سيكونون عمياً؛ وقلوبهم كلهـم قد أسرها نسـيان الحكمـة الشرير؛ وفيه يصعد إنسـان. وفي منتهاه يحرق بيت الملكوت، وكل نسل الأصل المختار سيتشتت.

٩. وبعدئـذ، في الأسـبوع السـابع، سـيقوم جيـل كافـر، كثيرة أعماله، وكل أعماله كفر.

١٠. وفي منتهـاه، يصطفـى المصطفـون الأخيار مـن غراس البر الأبدية لينالوا سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه.

تفسير النص:

١. ثم طفق أخنوخ يروي من الكتب.

أخنوخ هو إدريس عليه السلام عند بعض علماء الإسلام، وقد أشار إلى هذا القول الإمام الطبري عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].[١] وهذا القول وإن كان له حظ من النظر إلا أنه ليس له حظ من الأثر. أما حظه من النظر فمشابهة سيرةِ أخنوخ سيرةَ إدريس عليه السلام كرفعه إلى السماء وأنه أول من خط بالقلم (أو اخترع الكتابة على حد تعبير أهل الكتاب). أما من ناحية الأثر فإننا لا نملك نصاً صحيحاً صريحاً يشير إلى أن أخنوخ هو إدريس عليه السلام فيما أعلم، وبناء عليه فلا يمكننا الجزم بطبيعة "الكتب" المشار إليها في النص. وأياً كان الأمر فإن هذه النسبة لا تعنينا كثيراً في هذه الدراسة.

٢. فقال أخنوخ: عن بني البر، وعن صفوة الخلق، وغراس الاستقامة - عن هؤلاء أحدثكم وأبلغكم - أنا أخنوخُ - أي بَنِيّ، كما ظهر لي في الرؤيا السماوية، وعَلِمت من كلام الملائكة الأطهار،

(١) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤م)، ١٠/ ٧٩.

وتعلمت من ألواح السماء.

هـذا الـذي يرويـه لنـا أخنوخ عـن "صفـوة الخلـق" و"غِراس الاستقامة" مما تلقاه – إن ثبتت نبوته – من الوحي السماوي عن طريق الملَك. وأما "ألواح السماء" فلعلها اللوح المحفوظ. وهـذا كله على افتراض صحة ما نُقل إلينا، وإلا فمثله لا يثبت إلا بإسناد صحيح.

٣. فطفـق أخنوخ يـروي من الكتب [قائلاً]: ولدتُ السـابعَ في الأسبوع الأول، إذ لم يزل الحكم والبر باقيين.

هنا يبدأ الحديث عن السبعمائة عام الأولى منذ خلق آدم ﷺ إلى نهاية الأسبوع الأول.

قوله "وِلِدْتُ السابع في الأسبوع الأول" يحتمل أن يكون المراد منه: ولدت في القرن السابع من الأسبوع الأول. وهو معنى صحيح، فأغلب علماء أهل الكتاب على أن «أخنوخ» ولد عام ٦٢٢ منذ بدء الخليقة، وهذا يجعله في القرن السابع تماماً. ويحتمل أن يكون المراد ترتيبه من بين الآباء العشرة من آدم إلى نوح عليهما السلام، وهذا أيضاً صحيح؛ فالآباء العشرة عند أهل الكتاب هم: ١. آدم ٢. شيث ٣. إنوش ٤. قينان ٥. مهلائيل ٦. يرد ٧. أخنوخ ٨. متوشلح ٩.

لامك ١٠. نوح. يؤيد هذا ما ورد في رسالة يهوذا (١: ١٤) المشار إليها أعلاه حيث جاء فيها "وَتَنَبَّأَ عَنْ هؤُلاَءِ أَيْضًا أَخْنُوخُ، السَّابعُ مِنْ آدَمَ."

قوله "إذ لم يزل الحكم والبر باقين"، هذا صريح في أن البشر كانوا على الجادة إلى زمن أخنوخ، وأنهم كانوا يُحكِّمون شرع الله ويعبدونه دون سواه. وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام."[١] ونوح من أحفاد أخنوخ كما يذكر علماء الأنساب.

٤. ويحل بعدي في الأسبوع الثاني شر عظيم، ويظهر المكر؛ وفيه تكون النهاية الأولى، وفيه يُنَجى إنسان. وبعد أن ينقضي يتعاظم الإثم ويصنع الرب شريعة للخطاة.

هذا الأسبوع الثاني من رؤيا أخنوخ، ويمتد تقريباً بين ٧٠٠-١٤٠٠ منذ بدء الخلق؛ وهي الحقبة التي ظهر فيها نبي الله نوح عليه السلام وأغرق الله فيها الكافرين باعتراف علماء أهل الكتاب. فقد

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره والحاكم بإسناد على شرط البخاري كما قال الحاكم، ووافقه الذهبي.

ذكر «جون كولينز» أن في الفقرة "إشارة إلى نوح".[1] وقال «تشارلز» في تعليقه على هذا النص: "هذا الأسبوع يشمل الطوفان والعهد مع نوح"[2]، كذلك ينص «بيكويث» على أن "النهاية الأولى" هي الطوفان، وأن "الإنسان" الذي ينجو هو نوح عليه السلام.[3] ﷺ

قوله "ويحل بعدي في الأسبوع الثاني شر عظيم، ويظهر المكر" يشير إلى معنى قريب من قول الله ﷻ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢١-٢٣].

وقد روى البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: "... أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا

(1) John J. Collins. Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls (London: Routledge, 1997), p. 21.

(2) R. H. Charles. The Book of Enoch, p. 272.

(3) Roger Beckwith. Calendar and Chronology, p. 243.

بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ."[1]

فهذا هو "الشر العظيم"؛ وأي شر أعظم من الشرك بالله وعبادة الأوثان بعد أن كان الناس على توحيد الله تبارك وتعالى؟ ومن عجبٍ أن قَرنَت هذه الفقرة من رؤيا أخنوخ بين الشر العظيم وظهور المكر، كما أن الآية قرنت بين عبادة الأوثان والمكر الكُبَّار، فعُلم من الآية الكريمة أن المقصود به مكرُهم في معاندة الحق، وتزينهم لقومهم عبادة الأصنام.

دعاهم نوح عليه السلام ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، فما زادهم ذلك إلا إمعاناً في البعد عن الحق، حتى إنهم جعلوا أصابعهم في آذانهم لا يريدون سماعه، فلما يئس من إيمانهم توجه إلى ربه قائلاً ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

وهنا كانت "النهاية الأولى"، إذ أمر الله نبيه نوحاً عليه السلام ببناء الفُلك، وسلط على الكافرين المعاندين طوفاناً عظيماً غمر جميع

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٦٣٦.

الأرض فلم ينج إلا نوح عليه السلام ومن اتبعه من المؤمنين، وهذا معنى قول أخنوخ: "وفيه يُنجَّى إنسان". قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝٧٥ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧ ﴾ [الصافات: ٧٥-٧٧]. فكل من جاء من بعد نوح عليه السلام إنما هو من ذريته.

لكن الشيطان ما زال بذرية نوح عليه السلام حتى طغى منهم قوم عاد وتعاظم شرهم، وكانوا من أول الأمم عبادةً للأصنام بعد الطوفان؛ فأرسل الله إليهم رسوله هوداً عليه السلام ليبلغهم رسالة ربه. قال تعالى في شأنهم: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦٦ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٧ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٥-٦٩].

ولعل شأن قوم عاد هؤلاء وثمود من بعدهم، هو ما أشارت إليه الفقرة بقولها: "وبعد أن ينقضي، يتعاظم الإثم ويصنع الرب

شريعة للخطاة." فبعد أن انقضى الطوفان، عادت أقوام إلى الشرك كعادٍ وثمود، فأرسل الله إليهم رسلاً فكذبوهم فأهلكهم الله. وما زال هذا دأب الأمم المعاندة إلى منتهى الأسبوع الثالث.

٥. وبعدئذ، في الأسبوع الثالث، في منتهاه، يُصطفى إنسان ليكون غراس الحكم البار، ووراءه يقوم أبداً غراس البر.

قوله: "في الأسبوع الثالث، في منتهاه" يدل دلالة بيِّنة على أن الوحدات الزمنية (الأسابيع) التي يوظفها أخنوخ في هذا النص مقصودة لذاتها وليست تعبيراً مطلقاً عن مدة طويلة فحسب. فالفقرة هنا لا تكتفي بالإشارة إلى حدث في الأسبوع الثالث، بل تحدد مكان الحدث على الخط الزمني الذي ترسمه لنا رؤيا الأسابيع. هذا الأسبوع وفقاً لخط الزمن يقع بين عامي ١٤٠٠-٢١٠٠ منذ بدء خلق آدم عليه السلام. وقبل أن نحدد زمن الحدث نتعرف على الحدث نفسه.

يقول النص: "في الأسبوع الثالث، في منتهاه، يُصطفى إنسان ليكون غراس الحكم البار". بمعنى: أن الرب سيصطفي في نهاية هذه الحقبة الزمنية واحداً من البشر ليكون غرسة مباركة تؤتي أكلها إلى الأبد كما يفسره قوله "ووراءه يقوم أبداً غراس البر". وفي ترجمة

«تشارلز» ١٩١٧ "وتصبح ذريته غراس البر إلى الأبد"[١] وهي أصرح.

لما أغرق الله أهل الكفر في زمن نوح ﷺ، جعل ذريته هم الباقين؛ فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح. لكن الحديث عن نوح ﷺ قد سبق في الأسبوع الثاني ولا يستقيم أن يكون هو المراد هنا؛ فمن هو المراد يا ترى؟ يتبيَّن لنا ذلك في قول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٦].

قال ابن كثير في تفسير الآية: "يخبر تعالى أنه مُذ بَعث نوحاً، ﷺ، لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم، ﷺ، خليل الرحمن، لم يُنزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده، إلا وهو من سلالته."[٢] وقال إمام المفسرين الطبري: "وكذلك كانت النبوّة في ذرّيتهما [يعني نوحاً وإبراهيم عليهما السلام]، وعليهم أنزلت الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وسائر الكتب المعروفة."[٣]

---

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (Forgotten Books: 2007 [First Published in 1917]), p. 210.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (القاهرة: دار الحديث)، ٧/ ٥٧٩.

(٣) تفسير الطبري، ٢٧/ ٢٤٥.

فعلـم أن المـراد بالإنسـان الـذي يكـون في ذريتـه الحكم بشرع الله والـبرُّ والعـدلُ إلى الأبـد، هو خليـل الله إبراهيـم عليه السلام. وهذا ليـس بدعـاً مـن القول، فهو ما ذهـب إليه علماء أهل الكتاب عند تفسـيرهم هـذه الفقرة. يقول «تشـارلز» معلقـاً على النص: "هـم إبراهيم وذريته المختـارون ليكونوا السـلالة التي فيها ومن خلالهـا يوحي الله أحكامه العادلـة."[1] ومثل هذا ذهب إليه «جون كولينز» في كتابه «الرؤيوية في مخطوطات البحر الميت»[2]، والشـواهد على هذا كثيرة. وقد خالف في هذا «روجر بيكويث» فزعم أن "الإنسـان" المرادَ في النص هو يعقوب عليه السلام؛ وهـي محاولـة بائسـة لحـصر النبـوة والكتـاب في بنـي إسرائيـل (يعقـوب) واسـتبعاد بنـي إسـماعيل عليه السلام الذين هم من ذريـة إبراهيم عليه السلام بصريح كتابهم. ولعل هذا ما جعل «بيكويث» يورد زعمه بصيغة الاحتمال لا الجزم.[3]

هذا هـو الحدث العظيم الـذي جعله أخنوخ في نهاية الأسـبوع الثالث، إنه اصطفاء الخليل عليه السلام ليكون حاملاً للواء التوحيد هو ومن

---

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (1893), p. 272.

(2) John J. Collins. Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls, p. 21.

(3) Roger Beckwith. Calendar and Chronology, p. 246.

صلح من ذريته حتى ادَّعى النسبة إليه أقوام لم يكونوا من أهل التوحيد طمعاً في أن ينالوا الشرف.

أما زمانه فقد عاش ﷺ، وفقاً للموسوعة الكاثوليكية بل وفقاً للرأي السائد بين علماء أهل الكتاب؛ في بداية الألف الثانية قبل الميلاد،[1] وهذا يضعه في نهاية الأسبوع الثالث تماماً كما ورد في رسالة أخنوخ.

٦. وبعدئذ، في الأسبوع الرابع، في منتهاه، ترى رؤى القدوس والبر، وتصنع لكل الأجيال القابلة شريعة، وحظيرة لهم.

يستمر أخنوخ في سرده لأحداث العالم الكبرى ليوقفنا على ما يجري في الأسبوع الرابع. والأسبوع الرابع على الخط الزمني يمتد بين ٢١٠٠-٢٨٠٠ من تاريخ خلق آدم ﷺ. لكن النص يحدد هنا – كما حدد في الأسبوع الثالث – منتهى الأسبوع ليكون زمن وقوع الحدث، فيقول: "**في الأسبوع الرابع، في منتهاه، تُرى رؤى القدوس والبَرّ**"، وقد ذهب «تشارلز» إلى أن المقصود هو "التجليات الربانية لصالح

(1) The Catholic Encyclopedia, "Biblical Chronology" <www.newadvent.org/cathen/03731a.htm>.

إسرائيل في مصر"[1]، أي ما ظهر من نصرة الله بني إسرائيل في مصر وإهلاكه فرعون وقومه، وهو معنى مقبول.

ومما يعضد ما ذهب إليه «تشارلز» قول أخنوخ بعده "وتُصنع لكل أجيال المستقبل شريعةٌ وحظيرة." وهذه إشارة إلى "شريعة" التوراة التي أنزلها الله على كليمه موسى عليه السلام بعد خروج بني إسرائيل من مصر. أما "الحظيرة" - وهي الأرض المسوَّرة - فقد اختلف في تفسيرها على قولين مشهورين، أحدهما: فلسطين، والآخر: خيمة الاجتماع أو سورها، وهي المعبد المتنقل الذي صحب بني إسرائيل في تيههم وبعد دخولهم إلى فلسطين. وأيها كان الصواب فلا فرق، فالنص يتحدث عن خروج بني إسرائيل من مصر ونزول التوراة وبناء خيمة الاجتماع أو دخول فلسطين، وكل ذلك كان في زمن موسى عليه السلام، وهو المراد إثباته دون حاجة إلى الخوض في التفاصيل.

ولكنْ هل يتزامن ظهور موسى عليه السلام مع منتهى الأسبوع الرابع كما يشترط النص؟

ثمة رأيان مشهوران لعلماء أهل الكتاب في تحديد زمن مبعث

---

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (1893), p. 272.

موسى عليه السلام بناء على اختلافهم في تحديد تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر. فالرأي التقليدي يذهب إلى أن الخروج من مصر كان في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد؛ عمدتهم في هذا المذهب ما جاء في سفر الملوك الأول (٦: ١) «وَكَانَ فِي سَنَةِ الأَرْبَعِ مِئَةٍ وَالثَّمَانِينَ لِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمُلْكِ سُلَيْمَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ ...»، فإذا كان ابتداء مُلك سليمان عليه السلام عام ٩٧٠ ق.م كما هو الراجح عند علماء أهل الكتاب، فإن خروج بني إسرائيل من مصر كان في سنة ١٤٤٦ ق.م تقريباً،[1] وعليه فإن فرعون موسى عليه السلام عند القائلين بهذا الرأي هو «تحتمس الثالث» الذي حكم بين ١٤٧٩ - ١٤٢٥ ق.م

وهذا القول لا يخلو من أغلاط، منها:

أولاً: زعْمُ النص المسوري العبراني أن السنة الرابعة من ملك سليمان عليه السلام توافق "سنة الأربع مائة والثمانين" (٤٨٠) لخروج بني إسرائيل؛ يعارض ما جاء في النسخة السبعينية اليونانية الأقدم من أنها توافق "سنة الأربع مائة والأربعين" (٤٤٠)، مما يدل على اضطراب النص.

(١) (٤٨٠ + ٩٦٦ [السنة الرابعة من حكم سليمان عليه السلام] = ١٤٤٦).

ثانيـاً: إذا قمنـا بحسـاب السـنين من خـروج بنـي إسرائيل إلى السـنة الرابعة من ملك سـليمان عليه السلام على وجه التفصيـل، فإننا نخلص إلى تقديـرات بعيـدة عـن التقديريـن المذكوريـن في النصـين العـبراني واليوناني، ٤٨٠ و ٤٤٠ عاماً على التوالي، كما بيَّن ذلك «أ. س. جيدن» في مدخـل «سـفر القضـاة» الذي كتبـه للموسـوعة الكتابية الشـهيرة International Standard Bible Encyclopedia.[1]

كما نقرأ في «قاموس آنكور الكتابي»:

إن "حلّ الكَسـول" ببسـاطة هـو أن تجعـل الـ ٤٨٠ عامـاً المصرح بها في سـفر الملـوك الأول (٦: ١) بـين الخروج [من مـصر] وبـين السـنة الرابعة مـن ملك سـليمان (تقريبـاً ٩٦٦ ق.م)، فيكـون الخـروج في عـام ١٤٤٦ ق.م، لكن هذا الحل السـاذج يسـتبعده زخم المعلومات الكتابية الأخـرى مضافاً إليها معلومات مسـتقاة من خارج النص. فالزمن الفارق بين الخـروج [والسـنة الرابعة من مُلك سـليمان عليه السلام] ليـس ٤٨٠ عاماً، بل يربو على ٥٥٣ عاماً ... إذا ما تجشـمْنا عناء الدراسة

(1) International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003), "Judges, Book of".

المفصلة لشخصيات تلك الحقبة.[1]

أخيراً، هذا القـول مع اضطراب نصه الذي يعوّل عليه، يخالف مـا توصّل إليه علماء الآثار والتاريخ مـن حقائق حول تاريخ المصريين والكنعانيـين تـستبعد حصـول الخـروج في القـرن الخامـس عشر قبل الميلاد. وقد أقرت بهذه الحقيقة «الموسوعة اليهودية» إذ قالت:

يتفق أكثر العلماء على أن القرن الخامس عشر قبل الميلاد تاريخ متقـدم جداً على الخروج [من مـصر] ولا يتفق مع المعلومات الأخرى حول التواريخ الإسرائيلية والكنعانية والمصرية.[2]

أمـا الـرأي الآخـر في المسـألة فيجعل خـروج بنـي إسرائيل في منتصـف القرن الثالث عشر قبل الميلاد. لكـن الخلاف بين القائلين به يكمـن في تحديد فرعون الخروج، هل كان «رعمـسيس الثـاني» أم ابنه «مرنبتاح»؟ وهذا الرأي في عمومه أرجح من سابقه لأسباب، منها:

أولاً: جـاء في سـفر الخـروج (١: ١١) عنـد الحديـث عـن اسـتعباد فرعـون لبنـي إسرائيـل: "فَعَيِـنُوا عَلَيْهِـمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ" فَعَهِـدُوا بِهِـمْ إِلَى مُشْرِفِينَ عُتَـاةٍ

(1) The Anchor Bible Dictionary, "Exodus", vol. II, p. 702.
(2) Encyclopedia Judaica, (CD-ROM Edition), "Exodus".

لِيُسَخِّرُوهُمْ بِالأَعْمَالِ الشَّاقَةِ. فَبَنَوْا مَدِينَتَيْ فِيثُومَ وَرَعَمْسِيسَ لِتَكُونَا مَخَازِنَ لِفِرْعَوْنَ." و«رعمسيس» هذه مدينة على الدلتا الشرقية بناها «رعمسيس الثاني» فسميت باسمه؛ وهي التي كان منها خروج بني إسرائيل بنص سفر الخروج (١٢ : ٣٧). و«رعمسيس الثاني» حكم بين ١٢٧٩-١٢١٣ ق.م تقريباً، وعليه فلا يمكن أن يكون الخروج من مصر سابقاً لبداية حكم رعمسيس الثاني، أعني ١٢٧٩ قبل الميلاد.

ثانياً: باستعراض مدد حكم الفراعنة كما تُقدّمها الدراسات التاريخية/ الأثرية، يتبين لنا طول مدة حكم «رعمسيس الثاني»، وهو ما لم يتأتَّ لابنه «مرنبتاح» الذي حكم عشر سنين فقط؛ وهذا يستفاد من قول الله ﷻ على لسان فرعون وهو يمتن على موسى عليه السلام برعايته منذ كان وليداً: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء:١٨-٢٢]. ففيه إشارة إلى أن فرعون الذي تربى موسى عليه السلام في بلاطه هو فرعون الذي استعبد بني إسرائيل، وهو فرعون الذي استحق العقاب بالغرق؛ خلافاً للعهد القديم الذي يجعلهما فرعونين

اثنين؛ علماً بأن جل علماء أهل الكتاب القائلين بتأخر تاريخ الخروج من مصر يرون أن فرعون الاستعباد هو «رعمسيس الثاني».

ثالثاً: عُرف «رعمسيس الثاني» من بين فراعنة مصر بكثرة بناء الصروح والمعالم والتماثيل، حتى وصفه «كليتون» Clayton بقوله: "يقف رعمسيس الثاني علماً من بين فراعنة مصر كبَنَّاء للمَعالم والنُّصُب."[1] تؤكد هذا الموسوعة البريطانية بقولها: "يعرف بمشاريعه المعمارية الواسعة."[2] وهذا أيضاً يستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾[غافر:٣٦]؛ وقوله جل شأنه: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٧].

أخيراً، نجد «قاموس آنكور الكتابي» يختم بحثه في تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر بقوله: "باختصار، فإن أرجح تاريخ لخروج العبرانيين [بني إسرائيل] من مصر يقع في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد."[3]

---

(1) P. A. Clayton, Chronicle of the Pharaohs (London: Thames and Hudson Ltd., 1994), pp. 153.
(2) Encyclopaedia Britannica, "Ramses II".
(3) The Anchor Bible Dictionary, "Exodus".

وإذا علمنا أن «رعمسيس الثاني» حكم بين ١٢٧٩-١٢١٣ ق.م، أمكننا القول بكل ثقة بأن فرعون موسى عليه السلام هو «رعمسيس الثاني» إذ لم يشاركه حكم مصر أحدٌ في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وهذا ما نص عليه تفسير الكتاب المقدس المعروف باسم The NIV Study Bible من أن فرعون الخروج هو «رعمسيس الثاني».[١]

بناءً على ما سبق فإن موسى عليه السلام عاش في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهو تاريخ مطابق تمام المطابقة لما اشترطه أخنوخ من ظهوره في نهاية الأسبوع الرابع لبدء الخليقة. وإنما أطلت الحديث عن تحديد فرعون الخروج ومن ثم ظهور موسى عليه السلام للحاجة إليه فيما بعد فيُستغنى ببيانه هنا.

يلحظ القارئ فيما سبق أننا تمكنا من تفسير النص بيسر بالغ عندما قسمنا الأسبوع الواحد إلى سبعة قرون أو ٧٠٠ عام، فجاءت الأحداث في موضعها على الخط الزمني دون تكلف أو تعسف. كما أن تفسيرنا للأحداث والأشخاص يكاد يكون محل إجماع عند علماء

(1) The NIV Study Bible (Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1995), p. 287.

أهل الكتاب. ولكن ليس الحال كذلك فيما تبقى من النص كما سنرى، والسبب في ذلك سيتجلى للقارئ في حينه.

٧. وبعدئذ، في الأسبوع الخامس، في منتهاه، يُبنى بيت المجد والملكوت إلى الأبد.

نحن هنا بين عامي ٢٨٠٠-٣٥٠٠ منذ بدء خلق آدم ﷺ (الموافق لـ ١٢٠٠-٥٠٠ ق.م). أما "بيت المجد والملكوت" فهو "بيت المقدس" أو "الهيكل" كما يسميه اليهود، ولا أعلم أحداً من أهل الكتاب المعتبرين خالف في ذلك. لكن موطن الخلاف هو أي الهيكلين أراد؟ هل أراد به بناء «الهيكل الأول» على يد سليمان ﷺ في القرن العاشر ق.م، أم بناء «الهيكل الثاني» عام ٥٢٠-٥١٥ ق.م؟

لنفترض جدلاً أنه البناء الأول أو «الهيكل الأول» كما يسميه اليهود - وهو الرأي الذي ذهب إليه رتشارد لورنس[1] - فكم سيكون بين ذلك البناء وبين موسى ﷺ الذي هو حديث الأسبوع الرابع؟ لقد امتد ملك سليمان ﷺ كما تقدره المصادر بين ٩٧٠-٩٣٠ ق.م، أي بعد وفاة موسى ﷺ بثلاثمائة (٣٠٠) عام تقريباً على ما رجحناه

(1) Richrard Laurence. The Book of Enoch, the Prophet, p. 139.

من زمن ظهور موسى عليه السلام، وهذا أقل من نصف المدة التي يشترطها سفر أخنوخ وهي ٧٠٠ عام؛ فإنه جعل أحداث الأسبوع الرابع في منتهاه وهو هنا يشترط نفس الشيء، فدل على أن ما بينهما أسبوع أو ٧٠٠ عام تقريباً.

لكن قائلاً قد يقول: إنك إنما بنيت حسابك على ما زعمت أنها التواريخ الصحيحة لخروج بني إسرائيل وهذا من التحكم، ولو أعملت حسابات علماء أهل الكتاب لما وقع هذا التناقض.

أقول: إن علماء أهل الكتاب - كما فصلنا - مختلفون أشد الاختلاف في تحديد زمن خروج بني إسرائيل من مصر على ما هو معلوم عند أهل الاختصاص، فمنهم من جعله عام ١٤٤٦ ق.م، ومنهم من سلَّم بأن الخروج كان بعد هذا التاريخ بمائتي عام على الأقل كما صنع كثير من علماء أهل الكتاب، من أشهرهم عالم الآثار «ويليام أولبرايت».(١)

(1) William F. Albright, From The Stone Age To Christianity: Monotheism and the Historical Process (Doubleday, 1957), 256.

أما اليهودية الحاخامية فتأخذ بتقويم «سِدِر عولام ربَّاه» (تقويم العالم العظيم) الذي يحدد الخروج من مصر بـ ٢٤٤٨ عاماً منذ خلق آدم عليه السلام، أي في عام ١٥٥٢ ق.م تقريباً إذا ما اعتمدنا تواريخ النسخة المسورية للعهد القديم التي تجعل خلق آدم عليه السلام قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف عام. وهذا التحديد للخروج من مصر سيجعل الفرق بينه وبين بناء الهيكل الأول ستمائة عام ونيفاً، وهو وإن اتفق إلى حد كبير مع اشتراط أخنوخ في رؤياه، إلا أنه يناقض صراحةً نص كتابهم، إذ يحدِّثنا سفر الملوك الأول (٦: ١) قائلاً: «وَكَانَ فِي سَنَةِ الأَرْبَعِ مِئَةٍ وَالثَّمَانِينَ لِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمُلْكِ سُلَيْمَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فِي شَهْرِ زِيُو وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّانِي، أَنَّهُ بَنَى الْبَيْتَ لِلرَّبِّ». فنصَّ كتابهم على أن ما بين الخروج إلى بناء الهيكل الأول ٤٨٠ سنة، وهو حجة عليهم.

أما إذا اعتبرنا بداية الخلق عام ٣٧٥١ ق.م كما هو تقدير «سدر عولام رباه» أو عام ٣٧٦١ ق.م وفقاً للتقويم اليهودي الحالي، فإن خروج بني إسرائيل من مصر سيكون عام ١٣١٤ ق.م تقريباً، وهو تقدير بين التقديرين الشائعين لزمن الخروج، فلا هو اتَّفق مع حسابات النسخة المسورية العبرانية، ولا هو اتسق مع الأبحاث التاريخية/ الأثرية.

وحتى لو سلمنا جدلاً بصحة حسابات من زعم أن الخروج من مصر كان في القرن الخامس عشر أو السادس عشر قبل الميلاد – وهو خطأ محض – فنحن أمام معضلة أخرى وهي تقاصر المدة بين إبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام حتى تصير إلى خمسمائة عام.

ونحن لو تتبعنا الخط الزمني كما صوَّره أخنوخ، بغض النظر عن تفاصيل الأحداث، فإننا سنجد أن نهاية الأسبوع الخامس تكون عند عام ٣٥٠٠ منذ خلق آدم عليه السلام وهو ما يوافق السنة ٥٠٠ ق.م، فإن كان ثمة بناءٌ للهيكل في نهاية الأسبوع السادس فهو البناء الثاني بلا ريب، وقد تم ذلك على يد العائدين من السبي البابلي بين عامي ٥١٥–٥٢٠ ق.م وهذا الهيكل هو المعروف بالهيكل الثاني The Second Temple كما سيتضح جلياً مما بقي من الرؤيا.

أما وصف أخنوخ بناء بيت المجد والملكوت بقوله "إلى الأبد" فلعل المراد به أنه لن يزول زوالاً تاماً، أما إحراقه أو هدم أجزاء منه فقد حدث بالفعل كما تبينه الفقرة التالية.

٨. وبعدئذ، في الأسبوع السادس، كل الذين يعيشون فيه سيكونون عمياً؛ وقلوبهم أسيرة لغفلة شديدة عن الحكمة؛ وفيه يصعد

إنسان. وفي منتهاه يُحرق بيت الملكوت، وكل نسل الأصل المختار سيشتت.

يشرع أخنوخ في الحديث عن الأسبوع السادس الذي يمتد بين عامي ٣٥٠٠-٤٢٠٠ منذ خلق آدم ﷺ (الموافق لـ ٥٠٠ ق.م-٢٠٠م)، فيصف أحداثاً "فيه" وأحداثاً "في منتهاه". فأما الأحداث التي في أثناء الأسبوع دون تحديد لزمن فيشملها قوله: "كل الذين يعيشون فيه سيكونون عمياً؛ وقلوبهم أسيرة لغفلة شديدة عن الحكمة." فإن اليهود عقب عودتهم إلى فلسطين بعد أن سباهم بختنصر البابلي أخرج لهم «عزرا» ديناً مولداً هجيناً يجمع بين وثنية الفرس والبابليين ودين موسى ﷺ، وعلى أساس هذا الدين قام الهيكل الثاني. يقول حِزقيال، الإصحاح الثامن، واصفاً حال «الهيكل الثاني» وسدنته وشيوخه والـمُصلِّين فيه بعد السبي البابلي:

فَدَخَلْتُ وَنَظَرْتُ، فَإِذَا كُلُّ تَصَاوِيرِ أَشْكَالِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْبَهَائِمِ النَّجِسَةِ، وَجَمِيعُ أَصْنَامِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ مَرْسُومَةٌ عَلَى كُلِّ جَوَانِبِ الْجُدْرَانِ، وَقَدْ مَثَلَ أَمَامَهَا سَبْعُونَ رَجُلاً مِنْ شُيُوخِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ ... وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِجْمَرَتُهُ تَتَصَاعَدُ مِنْهَا غَمَامَةٌ عَطِرَةٌ مِنَ الْبَخُورِ ... ثُمَّ أَحْضَرَنِي [ملاك

الرب أو نحوه] إِلَى مَدْخَلِ الشَّمَالِيِّ لِبَوَّابَةِ هَيْكَلِ الرَّبِّ، فَإِذَا هُنَاكَ نِسَاءٌ يَنْدُبْنَ تَمُوزَ ... ثُمَّ أَحْضَرَنِي إِلَى الْفِنَاءِ الدَّاخِلِيِّ لِبَيْتِ الرَّبِّ، فَإِذَا عِنْدَ مَدْخَلِ هَيْكَلِ الرَّبِّ بَيْنَ الرُّوَاقِ وَالْمَذْبَحِ نَحْوُ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً أَدَارُوا ظُهُورَهُمْ لِهَيْكَلِ الرَّبِّ، وَاتَّجَهُوا بِوُجُوهِهِمْ نَحْوَ الشَّرْقِ سَاجِدِينَ لِلشَّمْسِ.

وهذه كلها من مظاهر عبادة الشمس التي كانت منتشرة في أرض بابل فدخلت في عقائد اليهود. يقول «قاموس آنكور الكتابي»: "بقيَت عبادةُ الشمس بعد السبي واحدة من العبادات الوثنية الأكثر شيوعاً بين يهود فلسطين كما تشهد بذلك المصادر الخارجية ... لقد صُرفت بعض الصفات التي كانت تخص الشمس المؤلهة إلى يَهْوَه [معبود اليهود] الذي اكتسب بذلك مظهراً شمسياً."

ثم يضيف: "إن عدداً من العلماء يرى أن الهيكل في أورشليم صُمِّم كمركز لعبادة الشمس حيث يُعبد الربُّ كإله شمس ...".[1] وقد فصلت في تأثير الوثنية الفارسية/ البابلية على يهود ما بعد السبي في غير هذا الموضع فلا حاجة لإعادته.[2]

(1) Anchor Bible Dictionary, "Sun".

(٢) أنظر كتاب: اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد، (الرياض: مركز البحوث والدراسات بمجلة البيان، ١٤١٣هـ/ ٢٠١٠م) ص ٣٩-٥٣.

المقصود أن بني إسرائيل حادوا عن منهج الأنبياء إلا من رحم الله منهم، وتولى كِبر هذا الكفر منهم طائفة الفريسيين إلى زمن عيسى بن مريم عليهما السلام. وقد سجل العهد الجديد موقفهم من نبوة المسيح ﷺ وعداءهم لرسالته وتآمرهم على قتله وصلبه، لكن الله نجاه منهم، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨].

هذه الحقيقة التي لا لبس فيها عند أهل الإسلام هي التي أقرها سفر أخنوخ بقوله عن المسيح ﷺ: "وفيه يصعد إنسان"، فهو أولاً "إنسان" وليس إلهاً أو ابناً للإله، ثم إن الكاتب اكتفى بذكر الصعود إلى السماء فلم يذكر قتلاً ولا صلباً. وهاتان مسألتان - أعني بشرية المسيح ﷺ وعدم صلبه - خالف فيها النصارى أهلَ الإسلام، وها هو أخنوخ يشهد فيها لأهل الإسلام. وقد زعم بعض شراح أهل الكتاب أن المقصود بالإنسان في الفقرة «إيليا»، وهو قول مردود كما سأبيِّنه في حينه.

تلك هي الأحداث التي "في" الأسبوع، أما التي "في منتهاه" فقوله: "وفي منتهاه يُحرق بيت الملكوت، وكل نسل الأصل المختار سيتشتت."

أما "بيت الملكوت" فهو بيت المقدس (أو الهيكل الثاني) كما تقدم. وقد يقول قائل: إن الهيكل الأول أحرق كذلك على يد بختنصر البابلي فلم رجحت دون مرجح؟

فأقول: إن الزعم بأنه الهيكل الأول بعيد كل البعد كما سبق، فإن الهيكل الأول بني زمن سليمان عليه السلام في أثناء مملكته (٩٧٠-٩٣٠ ق.م تقريباً) ولم يكن ذلك في منتهى الأسبوع الخامس كما يشترط سفر أخنوخ بل في نصفه الأول. وكان تدمير الهيكل وحرقه في ٥٨٧ ق.م أي قبل دخول الأسبوع السادس أصلاً، علماً أن النص يشترط أن يكون البناء والإحراق في منتهى الأسبوعين الخامس والسادس على التوالي، فكيف تكون الإشارة إلى التدمير الأول؟

فإن قال قائل: إن ما بين بناء الهيكل الأول وبين هدمه من الزمان هو مقياس طول الأسبوع في رؤيا أخنوخ، على خلاف ما انتهجتم.

قلنا: بناء الهيكل كان في ٩٦٧ ق.م تقريباً، وإحراقه كان في

٥٨٦ ق.م وبينهما كما هو ظاهر ٣٨١ عاماً فقط، فهل هذه هي مدة "الأسبوع" في رؤيا أخنوخ؟! إن هذا يعني أن ما بين ميلاد أخنوخ الذي ولد في منتهى الأسبوع الأول وإبراهيم عليه السلام الذي عاش في منتهى الأسبوع الثالث ٧٦٢ عاماً فقط (أسبوعين)! وهذا من الوهم، فإن بينهما ضعفَ هذا العدد من السنين على ما قرره علماء أهل الكتاب أنفسهم.

فتبيَّن بذلك أن المقصود بالهيكل في الأسبوعين الخامس والسادس هو «الهيكل الثاني» الذي بناه اليهود برعاية من الفرس بعد أن عادوا من السبي البابلي. وعليه فيبطل زعم من زعم أن "الإنسان" الذي "يصعد" في هذه الفقرة هو نبي الله «إيلياء» (إلياس عليه السلام) وليس المسيح عليه السلام، فإن بينهما عقوداً.

هذا فيما يتعلق بالحدث الأول في منتهى الأسبوع السادس، أما الحدث الثاني فهو أن "كل نسل الأصل المختار سيتشتت". وهو إشارة إلى شتات اليهود في القرن الأول الميلادي لا سبيهم على يد بختنصر. فإن اليهود لما ثاروا على الحكم الروماني بين عامي ٦٦ و١٣٦ م لأسباب مختلفة، انتهى الأمر بإحراق بيت المقدس وتدميره، وقُتل منهم خلق كثير، وأُخرِجوا من القدس التي أصبحت تسمى «إيليا كابيتولينا»؛

وتَفـرَّق اليهود في أنحاء إفريقيا وآسـيا وأوروبا، وهو ما يعرف باسـم الـ «دياسـبورا» أي «الشـتات». وهذه الأحداث تنتهي بنهاية الأسبوع السادس.

٩. وبعدئـذ، في الأسـبوع الـسـابع، سيقوم جيـل كافـر، كثيرة أعماله، وكل أعماله كفر.

بعد أن تسلط الروم على بني إسرائيل واضطُهد من كان على دين المسيح عليه السلام، اندرس الدين وقام جيل مرتد كافر بالله ﷻ يعبد الأصنام ويـأكل الميتة ويأتي الفواحش ويقطع الأرحام؛ ولم يبق على التوحيد إلا قليل من أهل الكتاب. قال ﷺ كما في صحيح مسلم: "وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْـلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُـمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ" ممن تمـسكوا بدين الأنبياء إلى أن بعث الله سيد الخلق محمداً ﷺ.

١٠. وفي منتهاه، يصطفى الصفوة الأبرار من غراس البر الأبدية لينالوا سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه.

هنـا تقشـعر الجلود، وتخفق القلوب، وتـذرف العيون، ويقف المرء مشـدوهاً ما عسـاه يقـول. إن أخنوخ الذي يحدث بنيه عن "بني البـر، وصفـوة الخلق، وغراس الاسـتقامة" ينتهي بنا إلى مشـهد جليل

فيقول: "وفي منتهاه" أي منتهى الأسبوع السابع "يُصطفى الصفوة الأبرار من غراس البر الأبدية". ومن هم الصفوة الأبرار إلا محمد ﷺ وأمته؟ الذين دك الله بهم صروح الكفر، وتضعضع لهم جبابرة الروم والفرس، وبلغ ملكهم مشارق الأرض ومغاربها، كما قال ﷺ: "إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ."[1]

الله أكبر! إنه - والله - لشرف الدهر أن تكون من أتباع المصطفى ﷺ.

ومما زادني شرفاً وتيهاً	وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك (يا عبادي)	وأن صيرت أحمد لي نبياً

إنه صفوة الخلق كما قال عن نفسه: "إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ."[2] إنه من نسل أبيه إبراهيم عليه السلام الذي اصطفاه الله في الأسبوع الثالث من الرؤيا ليكون غراساً للبر، وتكون ذريته غراس البر إلى الأبد. فكانت النبوة في ذريته

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث رقم ٢٨٨٩.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم ٢٢٧٦.

من إسحاق عليه السلام حتى ختمت برفع المسيح عليه السلام. ثم جعلها الله في ذرية إبراهيم عليه السلام من نسل ابنه إسماعيل عليه السلام فكانت رسالة الإسلام الخالدة التي نسخت كل ما قبلها من الرسالات.

وقد علق «جون كولينز» على هذه الفقرة بقوله:

في رؤيا الأسابيع الأخنوخية، تأتي نقطة التحول باختيار الصفوة الأبرار في الأسبوع السابع الذي يأتي مباشرة في أعقاب تدمير الهيكل. هذا الأسبوع يقطنه "جيل كافر". بل إن الهيكل الثاني [بيت المقدس] لا يُعترف به هنا، فيبدو من المطَمْئن أن نستنبط أن "الصفوة الأبرار" قد صُرفوا عنه."[1]

قلت: هذا استنباط ذكي جداً، وهو حق؛ لكنهم لم يصرفوا عن بيت المقدس بعدة ولا بعتاد، وإنما صرفوا عنه بوحي من الله ﷻ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث البراء قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

---

(1) John Collins. Seers, Sibyls and Sages in Hellenistic-Roman Judaism (Boston: Brill Academic Publishers, 2001), p. 267.

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾[البقرة: ١٤٤] فَوُجِّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ قَدْ وُجِّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ."(١)

وبالرغم من أن ذكاء «كولينز» لم يهْدِه إلى الإقرار بأن صفوة الأبرار هم أتباع محمد ﷺ، إلا أنه يضيف قائلاً:

لقد أُعطُوا «سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه» – باختصار، إنهم ينعمون بوحي فريد special revelation. إن ظهور «الصفوة الأبرار» هو في حد ذاته ذروة التاريخ.(٢)

فمن معاني قول أخنوخ: "لينالوا سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه" مضاعفة الله لهذه الأمة في الفضل والأجر، فقد أرسل الله إليها خير رسله، وأنزل عليه أفضل كتبه. قال الحسن البصري – رحمه الله –: "أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب من السماء، أودع علومَها أربعةً منها: التوراةَ والإنجيلَ والزبورَ والفرقانَ، ثم أودع علوم هذه

(١) صحيح البخاري، كتاب أخبار الآحاد، حديث رقم ٦٨٢٥.

(2) John Collins. Seers, Sibyls and Sages in Hellenistic-Roman Judaism, p. 267.

الأربعة الفرقانَ ... ".[1] فهو كما قال «كولينز» "وحي فريد".

كما ضاعف الله لهذه الأمة أجور أعمالهم فرضي منهم باليسير وأثابهم عليها بالأجر الجزيل كما في الصلوات الخمس، فإنها خمس في العدد لكنها خمسون في الأجر. وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ عَمِلَتْ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ. فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً! قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا. فَقَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ."[2]

فتبيَّن لكل قارئ منصف باحث عن الحق أن المصطفين الأبرار في الأسبوع السابع هم أتباع رسالة الإسلام الخالدة الذين جعلهم الله شهوداً على من سبقهم من الأمم كما قال في كتابه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾،

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٧/ ١٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، حديث رقم ٢١٤٩.

[البقرة: ١٤٣] وقال أيضاً: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وفي الصحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ ..."[١] الحديث.

فلا غرو أن جاء في النسخة الآرامية من الرؤيا: "وفي منتهاه، يصطفى الصفوة الأبرار ليكونوا شهود البر من غراس البر الأبدية".[٢]

وانظر أيها الباحث عن الحق كيف تحدث أخنوخ عن أربعة من أولي العزم من الرسل: نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام،

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٢١٧.
(2) Otto Neugebauer, et al. The Book of Enoch: Or I Enoch (Brill, 1985), p. 86.

ثـم ختم ذلك بحديث مطابق لحال أمة محمد ﷺ في الزمان والصفة، ومحمد ﷺ هو الخامس من أولي العزم المذكورين في آيتي الأحزاب والشورى، فكان في ذلك مزيد إشارة إلى المقصود.

فإن قال قائل: إن محمداً [ﷺ] لم يُنبأ في منتهى الأسبوع السابع وإنما في المائة الخامسة منه.

قلنا: هذا من التعنت الواضح؛ فإن القرن الخامس في سبعة قرون هو في المنتهى؛ ومع ذلك فإن النص لم يقل: "وفي منتهاه، يصطفى إنسان" كما قال عن إبراهيم ﷺ، وإنما جعل الاصطفاء لأمة بأسرها فقال: "يصطفى الصفوة الأبرار من غراس البر الأبدية"، وها هي أمة الإسلام لا تزال قائمة، بل إنه ما انقضى الأسبوع السابع (٩٠٠م) حتى نشروا الإسلام في المشرق والمغرب.

وقد ضربتُ صفحاً عما بقي من النص لثلاثة أسباب ألمحت إليها سلفاً؛ أولها: أن إلحاق تلك الفقرات بهذه الرؤيا هو موضع خلاف بين علماء أهل الكتاب. ثانياً: يعتبر بعض العلماء تلك الفقرات من قبيل ما يسمى «ما وراء التاريخ» الذي يصعب القطع بمعانيه، وقد يعده البعض الآخر من الأساطير لا التاريخ، فاستفراغ

الجهد في تأويل ما أحسن أحواله الظن مع وجود القطعي ليس من الحكمة في شيء. ثالثاً: وهو الأهم، أن تلك الفقرات لا تعنينا كثيراً في هذا البحث، فليس من همتي أن أزيد على إثبات نبوة المصطفى ﷺ وصدق رسالته، ففي هذا المبلغ صلاح الدنيا والآخرة لمن أراد اتباعه، فأغنى عما سواه.



«رؤيا إبراهيم» ﷺ

سـفر «رؤيا إبراهيـم» The Apocalypse of Abraham هو أحد الأسفار المنحولة التي كتبت في القرن الأول الميلادي.[1] يقول «ريـزارد رونكيفيتـس»: "إن «رؤيـا إبراهيـم»، بأصلها الفلسـطيني، وتأريـخ كتابتهـا المبكـر، وتراثهـا المشـترك مـع سـفر أخنـوخ الأول، وارتباطاتهـا بكتابـات العهـد الجديـد؛ لتجـد لنفسـها مكانـاً بين أهم الأعمال في العالم اليهودي في القرن الأول الميلادي."[2]

وعـلى الرغم من أن أكثر العلماء يذهب إلى أن أصل الرؤيا كتب بالعبرانية أو الآرامية، إلا أن أقدم النسخ الموجودة بين أيدينا إنما كتبت باللغة السلافية القديمة.

تُسـتهل الرؤيا بالحديـث عن إبراهيـم ﷺ وهدايته واصطفائه من قوم يعبدون الأصنام، وتختم بالحديث عن الرؤيا التي هي موضوع دراسـتنا. وعلـماء أهل الكتاب يـكادون يجمعون على تفسـير الخطوط

(1) James H. Charlesworth. The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament (Harrisburg, PA: Trinity Press International, 1998), p. 32.

(2) The Anchor Bible Dictionary, "Abraham, Apocalypse of" vol. I, p. 43.

العريضة للرؤيا، لكن التفاصيل هي محل الخلاف، لا سيما ما يتعلق بأحداث الساعة الثانية عشرة في آخر الزمان، وسيأتي بيان ذلك من خلال تفسير النص.

نص الرؤيا وتفسيره:

رأى إبراهيم ﷺ من بين ما رأى صورة قد سُطرت فيها أعمال العباد وما هم صانعون، وقد قُسِّم الخلق فيها إلى ميمنة وميسرة، فتساءل:

٢٢ . أيها الأبدي القادر! من هم الناس في هذه الصورة في هذا الجانب وذاك؟

فقال لي: أما الذين عن الشمال فكل الذين وُلدوا قبل يومك وبعده، منهم من كُتب له الحكم والصلاح، وآخرون الانتقام والمحق في آخر الزمان. وأما الذين عن يمين الصورة فهم الذين جعلتهم لنفسي، وقضيت أن يولدوا من صلبك، ودعوتهم شعبي. حتى بعض أولئك الذين من عزازيل.

يسأل إبراهيم ﷺ في هذه الفقرة ربه عما يراه من فئتين ماثلتين في الصورة إحداهما في الشمال والأخرى في اليمين. فيجيبه الله بأن التي

في الشمال هي كل البشر منذ بدء الخليقة إلى نهايتها. منهم من يكون من أهل السعادة ومنهم من يكون من أهل الشقاوة. أما الفئة التي في يمين الصورة فهم بنو إسرائيل الذين من نسل إبراهيم ﷺ من جهة يعقوب ﷺ، فهم «شعب الرب» كما يزعمون. ولا شك أن بني إسرائيل فُضّلوا على غيرهم من أهل زمانهم.

يلحظ القارئ في النص تقسيم البشر إلى الشعب المختار وإلى غيرهم من الأمم. ولم أر من الشراح من خالف في أن المقصود هم "اليهود" و"غير اليهود". لكن الإشكال في وصف غير اليهود بالـ «وثنيين»، علماً أن الفقرة أعلاه تصرح بأن الذين في ناحية الشمال من الصورة منهم البر "من كتب له الحكم والصلاح"، ومنهم الفاجر الذي كتب عليه "الانتقام والمحق في آخر الزمان". وبما أن النص الأصلي للرؤيا كتب بالعبرانية أو الآرامية فإن الكلمة المستعملة هي «جوييم» أو «عَمَّيَا» على التوالي. وكلتا الكلمتين لا تعني أكثر من "الأمم"، وإنما اكتسبت معنى "وثنين" لأن اليهود عَدُّوا كل من سواهم وثنياً. لذا نجد بعض مترجمي الرؤيا يستعمل العبارة الإنجليزية (the nations) التي تعني «الأمم» وبعضهم يستعمل (the heathen) وتعني «الوثنيين» لإيصال المعنى المراد. وقد آثرت أن أستعمل في

ترجمتي كلمة «الأميين» لأكون أدق في ترجمة الأصل مع عدم إغفال الجانب العنصري في الكلمة.

"حتى بعض أولئك الذين من عزازيل". عزازيل يمثل الشيطان أو إبليس أو الجن عموماً. والمقصود في الفقرة – والله أعلم – أن بعض من كان في الصورة كانوا من الجن الذين هم من ولد إبليس، كما قال شيخ الإسلام "الشياطين هم مَرَدَةُ الإنس والجن، وجميع الجن وَلَد إبليس والله أعلم،"[1] وسيأتي لهذا مزيد بيان.

٢٥. ورأيت هنالك مثل صنم الغيرة، منحوت من الخشب، كذاك الذي اعتاد أبي صنعه، وكان جسده من النحاس اللامع يغطي الخشب. ورأيت أمامه رجلاً يعبد الصنم، وكان قدامه مذبح، وعلى المذبح غلام مذبوح بين يدي الصنم.

أما «صنم الغيرة» أو «تمثال الغيرة» ("سِمِل هَكِّنْاَه" في النص العبراني) فقد جاء ذكره في موضعين من سفر حزقيال عند حديثه عن تسلل عبادة الوثنيين إلى داخل الهيكل الثاني بعد السبي البابلي. يقول حزقيال:

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٥/ ٧.

وَحَلَّقَ بِي رُوحٌ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَحْضَرَنِي فِي رُؤَى اللهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى مَدْخَلِ الْبَوَّابَةِ الشَّمَالِيَّةِ لِلسَّاحَةِ الدَّاخِلِيَّةِ، حَيْثُ يَنْتَصِبُ التِّمْثَالُ الْمُثِيرُ لِلْغَيْرَةِ. فَإِذَا بِمَجْدِ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ حَالٌّ هُنَاكَ كَمَا كَانَ حَالاً فِي الرُّؤْيَا الَّتِي شَاهَدْتُهَا فِي السَّهْلِ. ثُمَّ خَاطَبَنِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، الْتَفِتِ الآنَ نَحْوَ الشَّمَالِ». فَالْتَفَتُّ وَإِذَا بِي أَرَى مِنْ شِمَالِيِّ بَابِ الْمَذْبَحِ تِمْثَالَ الْغَيْرَةِ هَذَا مُنْتَصِباً فِي الْمَدْخَلِ. وَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ شَاهَدْتَ مَا يَرْتَكِبُونَ: هَذِهِ الرَّجَاسَاتِ الْفَظِيعَةَ الَّتِي يَقْتَرِفُهَا شَعْبُ إِسْرَائِيلَ لِيُبْعِدُونِي عَنْ مَقْدِسِي؟ وَلَكِنِ انْتَظِرْ، فَلاَ تَلْبَثُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْجَاساً أَفْظَعَ». [حزقيال ٨: ٣-١٣]

وكان هذا الصنم يمثل إلاهة الشمس «عشتار» التي هي من آلهة الحرانيين؛ ولذا قال هنا: " كذاك الذي اعتاد أبي صنعه" يعني في بلاد العراق. أما الرجل الذي يقدم القرابين للصنم فهو «منسى» كما سيأتي.

فقلت له: "ما هذا الصنم وهذا المذبح، ومن ذلك القربان؟ وما هذا البناء العظيم الذي أرى حسنَ الصنع والصورة، حُسْنه كذاك الذي تحت عرشك؟

فقال: "اسمع يا إبراهيم، إن الذي تراه هو الهيكل، نسخة من الذي في السماوات، جليل في هيئته وحسنه، أعطيه لبني آدم ليرسموا كهنوتاً لاسمي المجيد، وتقام فيه صلوات الناس، وتقدم فيه القرابين كما آمر قومك، أولئك الذين يقومون من جيلك. أما الصنم الذي رأيت فتمثال الغيرة، ينصبه بعض من يخرج من صلبك في آخر الأيام. وأما الإنسان الذي يسفك الدماء قرباناً فذاك الذي يدنس هيكلي، وأولئك شهود على الدينونة الآخرة، ونصيبهم مقدر منذ بدء الخليقة ...

فالبناء العظيم هو الهيكل الأول، أما الذي ينصب تمثال الغيرة - عشتار - في الهيكل فهو ملك اليهود «منسى» ويسير بسيرته ملوك آخرون من أمثال آمون ويهوياقيم ويهوياكين. وتفصيل هذه الفقرة من تدنيس الهيكل وتقديم الغلمان قرابين نجده في سفر الملوك الثاني:

وَارْتَكَبَ [منسى] الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، مُقْتَرِفاً رَجَاسَاتِ الأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَعَادَ وَشَيَّدَ مَعَابِدَ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي هَدَمَهَا أَبُوهُ حَزَقِيَّا، وَأَقَامَ مَذَابِحَ الْبَعْلِ، وَنَصَبَ تَمَاثِيلَ عَشْتَارُوثَ عَلَى غِرَارِ مَا صَنَعَ أَخْآبُ، وَسَجَدَ لِكَوَاكِبِ السَّمَاءِ وَعَبَدَهَا. وَبَنَى مَذَابِحَ فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الرَّبُّ: «فِي أُورُشَلِيمَ أَجْعَلُ اسْمِي»...

وَأَجَـازَ ابْنَهُ فِي النَّارِ، وَرَصَدَ الأَوْقَاتَ وَلَجَأَ إِلَى أَصْحَابِ الْجَانِّ وَالْعَرَّافِينَ وَأَوْغَلَ فِي ارْتِكَابِ الشَّرِّ مِمَّا أَثَارَ عَلَيْهِ غَضَبَ اللهِ الرَّهِيبَ. وَنَصَبَ تِمْثَالَ عَشْتَارُوثَ الَّذِي صَنَعَهُ، فِي الْهَيْكَلِ الَّذِي قَالَ الرَّبُّ عَنْهُ لِدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ: «فِي هَذَا الْهَيْكَلِ، وَفِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا مِنَ الأَرْضِ، الَّتِي وَهَبْتُهَا لِآبَائِهِمْ، أَجْعَلُ اسْمِي إِلَى الأَبَدِ. فَإِذَا أَطَاعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَعَمِلُوا كُلَّ مَا أَمَرْتُهُمْ بِهِ، وَطَبَّقُوا الشَّرِيعَةَ الَّتِي أَوْصَاهُمْ بِهَا عَبْدِي مُوسَى، فَإِنَّنِي لَنْ أُزَعْزِعَ أَقْدَامَهُمْ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي وَهَبْتُهَا لِآبَائِهِمْ». لَكِنَّهُمْ عَصَوْا، بَلْ أَضَلَّهُمْ مَنَسَّى فَارْتَكَبُوا مَا هُوَ أَقْبَحُ مِمَّا تَرْتَكِبُهُ الأُمَمُ الَّتِي طَرَدَهَا الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ[1] ... وَزَادَ مَنَسَّى فَسَفَكَ دَمَ أَبْرِيَاءَ كَثِيرِينَ، حَتَّى مَلأَ أُورُشَلِيمَ مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا.

فلما عتوا عما نُهوا عنه خاطبهم الرب قائلاً:

لأَنَّ مَنَسَّى مَلِكَ يَهُوذَا اقْتَرَفَ جَمِيعَ هَذِهِ الْمُوبِقَاتِ، وَارْتَكَبَ

(١) في هذا النص إثبات أن حق بني إسرائيل في الأرض المقدسة لم يكن حقاً مطلقاً، بل كان مشروطاً بإقامتهم دين الله، فلما حادوا عن منهج الله نزع منهم ذلك الحق؛ وإنما يرث الأرض عباد الله الصالحون.

شُرُوراً أَشَدَّ فَظَاعَةً مِنْ شُرُورِ الأَمُورِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ، وَأَضَلَّ يَهُوذَا فَجَعَلَهُ يَأْثَمُ بِعِبَادَةِ أَصْنَامِهِ، لِذَلِكَ يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَا أَنَا أَجْلِبُ شَرّاً عَلَى أُورُشَلِيمَ وَيَهُوذَا، فَتَطِنُّ أُذُنَا كُلِّ مَنْ يَسْمَعُ بِهِ. وَسَأُوْقِعُ عَلَى أُورُشَلِيمَ الْعِقَابَ الَّذِي أَوْقَعْتُهُ بِالسَّامِرَةِ، وَبِأَخْآبَ وَنَسْلِهِ. وَأَمْسَحُ أُورُشَلِيمَ مِنَ الْوُجُودِ كَمَا يُمْسَحُ الطَّبَقُ مِنْ بَقَايَا الطَّعَامِ، ثُمَّ يُقْلَبُ عَلَى وَجْهِهِ لِيَجِفَّ. وَأَنْبِذُ بَقِيَّةَ شَعْبِي وَأُسَلِّمُهُمْ إِلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ غَنِيمَةً وَأَسْرَى لَهُمْ.

وهذا ما تشير إليه الفقرة التالية من رؤيا إبراهيم عليه السلام:

٢٧. فنظرت وإذا الصورة تميل، وقد ظهر منها من ناحية الشمال قوم فُجَّار فسلبوا الذين عن اليمين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، فمنهم من قتلوا ومنهم من سَبَوا. ورأيتهم يركضون وراءهم من أربعة منازل، فأحرقوا الهيكل بالنار، ونهبوا كل ما فيه من المقدسات.

فبسبب طغيان بني إسرائيل وعبادتهم آلهة الوثنيين، سلط الله عليهم عدواً من ناحية الشَّمال (أي من غير بني إسرائيل) هم البابليون الوثنيون بقيادة «بختنصر». وهنا يبدأ «زمن الفُجور» أي تسلط الكفرة

على بني إسرائيل عام ٥٦٨ ق.م كما سيأتي بيانه. وقد جاء وصف ما صنعه البابليون من استحلال الهيكل ونهب مقدساته وحرقه في سفر الملوك الثاني:

وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنَ الشَّهْرِ الْخَامِسِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ حُكْمِ الْمَلِكِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، قَدِمَ نَبُوزَرَادَانُ قَائِدُ الْحَرَسِ الْمَلَكِيِّ مِنْ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَحْرَقَ الْهَيْكَلَ وَقَصْرَ الْمَلِكِ وَسَائِرَ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَكُلَّ مَنَازِلِ الْعُظَمَاءِ. وَهَدَمَتْ جُيُوشُ الْكِلْدَانِيِّينَ الَّتِي تَحْتَ إِمْرَةِ رَئِيسِ الْحَرَسِ الْمَلَكِيِّ جَمِيعَ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ، وَسَبَى نَبُوزَرَادَانُ بَقِيَّةَ الشَّعْبِ الَّذِي بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ، وَالْهَارِبِينَ الَّذِينَ لَجَأُوا إِلَى مَلِكِ بَابِلَ وَسِوَاهُمْ مِنَ السُّكَّانِ ... وَحَطَّمَ الْكِلْدَانِيُّونَ أَعْمِدَةَ النُّحَاسِ وَبِرْكَةَ النُّحَاسِ الَّتِي فِي بَيْتِ الرَّبِّ، وَنَقَلُوا نُحَاسَهَا إِلَى بَابِلَ. وَاسْتَوْلَوْا أَيْضاً عَلَى الْقُدُورِ وَالرُّفُوشِ وَالْمَقَاصِّ والصُّحُونِ وَجَمِيعِ آنِيَةِ النُّحَاسِ الَّتِي كَانَتْ تُسْتَخْدَمُ فِي الْهَيْكَلِ. وَكَذَلِكَ الْمَجَامِرِ وَالْمَنَاضِحِ. كُلُّ مَا كَانَ مَصْنُوعاً مِنْ ذَهَبٍ أَخَذَهُ قَائِدُ الْحَرَسِ الْمَلَكِيِّ كَذَهَبٍ، وَمَا كَانَ مَصْنُوعاً مِنْ فِضَّةٍ كَفِضَّةٍ ... وَهَكَذَا سُبِيَ شَعْبُ يَهُوذَا مِنْ أَرْضِهِ.

فقلـت: أيهـا الأبدي، هو ذا الشـعب الذي يخرج من نسـلي وقد رضيتَ عنه ينهبه الفجار، فمنهم من قُتل ومنهم من سُبي ليكون عبداً، والهيـكل قد أحرقوه بالنار، وما فيه من حسـنٍ سرقوه ودمروه. إن كان هذا سـيكون، فلم صدَعت قلبي؟ فقال لي: "ما رأيته سـيكون بسـبب ذريتـك، أولئك الذي يغضـبونني بتمثال الصنم الذي رأيت، وبسـبب القربان البشري في الصورة، وبغيرتهم في فعل الشر ومكرهم في الهيكل، فكما رأيت سيكون."

هنـا يسـأل إبراهيـم ﷺ الـرب أن يريه مـا يخفف بـه حزنه مما يصيـب ذريته بسـبب ما أحدثوه مـن عبادة للأوثان، فيسـأل عن أهل الإيمان الذين يأتمرون بأمر الله وينتهون بنهيه.

فقلت: "أيها الأبدي القادر! لتنصرف الآن أعمال الشر هذه التي عُملـت كُفـراً، ولكن أرني الذين ائتمروا بوصايـاك، بأعمال البر، فإنك على ذلك قادر."

فقال لي: "إن أيام البر تُرى أنماطاً بحياة أولئك الحكام الأبرار الذين سيقومون، الذين خلقتهم ليحكموا في أزمنة موقوتة. لكن اعلم أنه سيقوم منهم آخرون لا يهمهم إلا مصالحهم، من نمط أولئك الذين أريتُكَهم."

٢٨ . فأجبت قائلاً: "أيها القادر تقدس سلطانك! هبني سؤلي وارني، فإنك لهذا أحضرتني هنا، أيجري لهم ما أريتنيه زمناً طويلاً؟".

فأراني حشداً من شعبه وقال لي: "بسببهم، في منازل أربع كما رأيت سأغتاظ منهم، وفيها سيحق عليهم عقابي. وفي المنزلة الرابعة لمائة عام، التي هي ساعة من الدهر، أي مائة عام، سيكونون في نكبة بين الأميين، ولكن أيضاً لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأميين".

هذه الفقرة أشكلت على كثير من الشراح بسبب اختلافهم في ترجمة الكلمة السلافية (schody). فذهب البعض إلى أن معناها "الجموع" كما صنع «كوليك»[1]؛ وآخرون آثروا ترجمتها بالـ "الأجيال"، وفريق ثالث زعموا أن المراد بها الـ "مداخل".[2] لكن أحداً لا يخالف أن معنى الكلمة الأصلي هو "درجة" أو "منزلة".

لكننا إذا أمعنا النظر في الفقرة نجد أن كلمة (schody) تأتي

(1) Alexander Kulik. Retroverting Slavonic Pseudepigrapha (Atlanta: Society of Biblical Literature, 2004), p. 30.
(2) G. H. Box. The Apocalypse of Abraham (London: The Macmillan Company, 1918), p 76.

لتعبِّر عن مرحلة زمنية، وهذا يستبعد ترجمة «كوليك» "وفي الجمْع الرابع هناك مائة عام" لأنها لا تناسب السياق ولا تحمل معنى مفيداً. وأما ترجمة «بوكس» "في أجيال أربعة" فإنها، على الرغم من احتمالها، ليست دقيقة.

والصواب – والله أعلم – أن النص يصور المدة التي بين السبي البابلي، الذي هو بداية زمن الفجور، إلى زمن الرحمة والعز على هيئة "درجاتٍ" أربع نزولاً (descents)، كل خطوة تتألف من مائة عام. وفي الدرجة الرابعة، أو المائة الرابعة، من الأسر البابلي سيصاب بنو إسرائيل بنكبة – أو "شر" كما في بعض الترجمات – بين الأمميين (الوثنيين)، وسيستمر هذا لساعة من الدهر أو مائة عام. ونحن إذا نزلنا من السبي البابلي ٥٨٦–٥٣٩ ق.م أربع درجات فإننا سنصل إلى ما بين ١٨٦–١٣٩ ق.م فما هي "النكبة" التي أصابت اليهود في هذه المرحلة؟

في ١٧٥ ق.م جلس الطاغية السلوقي «أنطيوخس إيبفانيس الرابع» على عرش الإمبراطورية السلوقية. وكان منهمكاً في حروبه مع المصريين. لكنه لما عاد ذات مرة، بعد أن أشيع أنه مات في إحدى المعارك، أُخبر بمحاولة انقلاب قام بها كبير كهنة اليهود الأسبق

«ياسون» الذي كان «أنطيوخس» قد عزله وعين مكانه «منلاوس»، فكانت النكبة على اليهود. يحدثنا سفر المكابيين الثاني قائلاً:

فلما بلغت الملكَ هذه الحوادث، اتهم اليهود بالانتقاض عليه؛ فزحف من مصر وقد تنمر في قلبه وأخذ المدينة [القدس] عنوة، وأمر الجنود أن يقتلوا كل من صادفوه دون رحمة، ويذبحوا المختبئين في البيوت. فطفقوا يهلكون الشبان والشيوخ، ويبيدون الرجال والنساء والأولاد، ويذبحون العذارى والأطفال، فهلك ثمانون ألف نفس في ثلاثة أيام، منهم أربعون ألفاً في المعركة، وبيع منهم عدد ليس بأقل من القتلى. ولم يكتف بذلك، بل اجترأ ودخل الهيكل الذي هو أقدس موضع في الأرض كلها، وكان دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن، وأخذ الآنية المقدسة بيديه الدنستين، مع ما أهدته ملوك الأجانب لزينة الموضع وبهائه وكرامته، وقبض عليها بيديه النجستين ومضى ... وحمل أنطيوخس من الهيكل ألفاً وثماني مئة قنطار، وبادر الرجوع إلى إنطاكية، وقد خيل إليه كبرياؤه وتشامخ نفسه أنه يقطع البر بالسفن والبحر بالقدم! وترك عمالاً يراغمون الأمة، منهم فيلبس في أورشليم

وهـو فريجي الأصـل، وكان أشرس أخلاقاً مـن الذي نصبه، وأندرونكـس في جرزيـم، وأيضـاً منلاوس الذي كان أشـد جـوراً عـلى الرعية من كليهما. ثم حمله مـا كان عليه من المقت لرعايا اليهود، على أن أرسـل أبلونيـوس الرئيس البغيض في اثـنين وعشرين ألف جنـدي، وأمره أن يذبـح كل بالغ منهم ويبيع النسـاء والصبيان. فلما وفد إلى أورشليم أظهر السلام، وتربـص إلى يوم السـبت المقـدس، حتى إذا دخـل اليهود في عطلتهـم، أمر أصحابه بأن يتسـلحوا، وذبـح جميع الخارجين للتفـرج، ثم اقتحم المدينة بالسـلاح، وأهلك خلقاً كثيراً. [٢ مكابيين ٥].

ثم يتحـدث الإصحاح التـالي عن محاولـة «أنطيوخـس» طمس معالم اليهودية فيقول:

وبعد ذلك بيسـير أرسل الملك شيخاً أثينياً، ليضطر اليهود أن يرتدوا عن شريعة آبائهم ولا يتبعوا شريعة الله، وليدنس هيكل أورشليم ويجعله على اسم [الإله اليوناني] زوس (Zeus) ... وامتلأ الهيكل عُهراً وقصوفاً ... وكان المذبح مغطى بالمحارم التي نهت الشريعة عنها. ولم يكن لأحد أن يعيد السـبت، ولا

يحفظ أعياد الآباء، ولا يعترف بأنه يهودي أصلاً. وكانوا كل شهر، يوم مولد الملك، يساقون قسراً للتضحية، وفي عيد [الإله اليوناني] ديونيسيوس (Dionysius) يضطرون إلى الطواف إجلالاً له، وعليهم أكاليل من اللبلاب. وصدر أمر إلى المدن اليونانية المجاورة بإغراء البطالمة أن يُلزِموا اليهود بمثل ذلك وبالتضحية، وأن مَن أبىَ أن يتخذ السنن اليونانية يُقتل، فذاقوا بذلك أمر البلاء. [٢ مكابيين ٦].

وإنما أوردت هذه الاقتباسات الطويلة نسبياً لبيان أن هذه "النكبة" التي أصابت اليهود في زمن الإمبراطور «أنطيوخس» لم تكن أمراً هيناً، بل هي جديرة بأن تكون النكبة المشار إليها في رؤيا إبراهيم التي نحن بصددها. فهي تزيد عن السبي البابلي في إكراه الناس على ترك دينهم واعتناق دين اليونان الوثنيين.

غير أن الرؤيا تشير إلى أن هذه النكبة ستنقضي وسيعقبها مجد لليهود لساعة من الزمن، أي مائة عام كما مر بنا. يقول النص: "سيكونون في نكبة بين الأممين، ولكن أيضاً لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأممين." وهذا ما حدث بالفعل، فبعد تلك النكبة على يد الإمبراطور «أنطيوخس الرابع» قام المكابيُّون اليهود بثورتهم

ضد الإمبراطورية السلوقية، وأسسوا دولة الحَشمونيين K واستقل اليهود في فلسطين من عام ١٦٥ ق.م إلى عام ٦٣ ق.م، أي ١٠٢ عام (ساعة من الدهر). وهذه هي الساعة التي عبَّر عنها النص بقوله "ولكن أيضاً لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأمميين".

انقضت ساعة الرحمة والعز في عام ٦٣ ق.م عندما غزيت دولة الحشمونيين من قبل الروم، فتفككت ثم أصبحت تابعة للروم ولم تقم لليهود بعدُ قائمة، حتى الهيروديون اليهودُ العملاءُ حكموا فلسطين تبعاً للروم لا استقلالاً. وهكذا استؤنف زمن الفجور بعد أن عَز اليهود ساعةً من الدهر. فتساءل إبراهيم ﷺ:

٢٩ . فقلت: أيها الأبدي! كم هي ساعات الدهر؟ فقال: اثنتي عشرة ساعة كتبت لزمن الفجور الحاضر أن يتسلط على الأمميين وعلى ذريتك، وإلى نهاية الأزمان سيكون كما رأيت.

فزمن الفجور الذي بدأ بالسبي البابلي سيستمر اثنتي عشرة ساعة (أي ١٢٠٠ عام) قبل أن يأتي الخلاص. هنا يخاطب الرب إبراهيم ليتنبه إلى القادم ففيه الفرج الذي كان ينتظره. قال له الرب:

والآن احسب وافهم وانظر في الصورة ثانية!

[يقول إبراهيم:] فنظرت ورأيت رجلاً يخرج من الشّـمال ناحية الأمميين. وخرج رجال ونسـاء وأطفال من ناحية الأمميين، جموع غفيرة، وعبدته [أو "بجلته"].

إن هـذا النص بحاجـة إلى تأمل. فقد ذهـب الكثـرة الكاثرة من علـماء أهـل الكتاب إلى أنـه وما بعده مـن إقحام النصـارى وليـس من أصل الرؤيا. يقول «روبرت هول» في دراسـة لـه بعنوان «الإقحامات النصرانيـة في رؤيـا إبراهيـم» ﷺ: "منـذ اكتشـاف «رؤيـا إبراهيـم» ودارسـوها يُخرِجـون كل الفقـرات ٢٩: ٣-١١ باعتبارهـا تعليقـاً نصرانياً."[١]

والســبب الداعـي إلى فرضيـة الإقحـام هذه مـا ورد في وصـف الرجـل المخلِّـص في الفقرة من أنه سـيعبد من قبل كثير، وأنه سـيؤذَى مـن قبل اليهود (الذين مـن ناحية اليمين). لكن المحك الذي يحيد عنه شراح الرؤيـا هـو أن الرجل المخلص يخرج من غـير اليهود، من ناحية الشّمال كما يصرح النص. لهذا علق «بوكس» على الفقرة بقوله "واضح

(1) Robert G. Hall. "The 'Christian Interpolation' in the Apocalypse of Abraham," in Journal of Biblical Literature (The Society of Biblical Literature, March, 1988), vol. 107, No. 1, pp. 107-110.

أن الرجل يراد به يسوع [عيسى ﷺ]. لكن ظهوره "عن شمال الأمميين" مثير للاستغراب!"(1)

وأقول لـ «بوكس» ومن ذهب مذهبه: القول بأن المقصود من هذه الفقرة «يسوع المسيح» باطل؛ لأن عيسى ﷺ لم يكن من الأمميين بل كان من بني إسرائيل باتفاق الملل. ولو أنكم حين استنكرتم خروجه من بين الأمميين بحثتم في غير بني إسرائيل لوجدتم، ولكان أقرب للإنصاف. وهاأنذا أقول لكم من هو هذا الرجل الذي لم يمنعكم من ذكر اسمه إلا كتمان الحق كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣]. إن هذا المخلص هو خاتم النبيين، وإمام المتقين، ورحمةُ الله للعالمين، محمد ﷺ؛ وهاكم الأدلة على ذلك:

أولاً: لما سأل إبراهيم ربه عن مدة ساعات البلاء وزمن الفجور، أجابه الرب: "اثنتي عشرة ساعة كتبت لزمن الفجور الحاضر أن يتسلط على الأمميين وعلى ذريتك." وزمن الفجور كما بيّنا يبدأ من تسلط البابليين على بني إسرائيل وإحراق المسجد الأقصى (الهيكل الأول) عام ٥٨٦ ق.م والساعة في هذه الرؤيا تعبر عن ١٠٠ عام كما

(1) G. H. Box. The Apocalypse of Abraham, p 78.

تفسره الرؤيا نفسها. فإن أردنا أن نعلم زمن ظهور هذا الرجل المخلص فما علينا إلا أن نحسب ألفاً ومائتي عام (١٢٠٠ = اثنتا عشرة ساعة) من تاريخ بدء زمن الفجور؛ حينها سنجد أنفسنا تماماً عند عام ٦١٤م! والدنيا كلها تعلم أن بعثة المصطفى ﷺ كانت عام ٦١٠م أو ٦١١م بعد أربعين عاماً من مولده المبارك (٥٧٠م أو ٥٧١م)، وهذا الفرق اليسير جداً بين التاريخين مرده إلى أن الرؤيا توظف الساعات (القرون) لحساب الزمن مما تتعذر معه الدقة، ولا أحسب أحداً يماري في هذا إلا أن يكون مكابراً. وأين هذا من بعثة عيسى عليه السلام التي كانت قبل ذلك بستمائة عام؟

ثانياً: يظهر من الأحداث التي تستعرضها الرؤيا التركيز على النكبات التي أصابت بني إسرائيل في أثناء زمن الفجور؛ فكان من المنطق أن يكون المخلص لهم قادراً على نصرتهم وإلا لم يكن «فَرَجاً» كما تصفه الرؤيا. وعيسى عليه السلام لما دعا بني إسرائيل إلى الله آمن به طائفة وكفرت طائفة، لكنه ما كان يملك من الشوكة ما يتصدى به لطغيان الروم وأعوانهم من اليهود الكفرة الذين حاولوا قتله فأنجاه الله منهم. وأما محمد ﷺ فزعزع الله به عروش الأكاسرة والقياصرة كما شهد بذلك أعداؤه قبل أتباعه. قال ابن كثير في تفسير قول تعالى: ﴿فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞ﴾ [الصف: ١٤]:

أي: لما بلَّغ عيسى بن مريم عليه السلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا نبوته، ورموه وأُمَّه بالعظائم، وهم اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - وغلت فيه طائفة ممن اتبعه، حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فِرَقاً وشِيَعاً، فمن قائل منهم: إنه ابن الله؛ وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس؛ ومن قائل: إنه الله ... وقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أي: نصرناهم على من عاداهم من فِرَق النصارى، ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي: عليهم، وذلك ببعثة محمد ﷺ.[1]

فمحمد ﷺ هو الذي أنقذ الله به أهل الأرض من كفر الكافرين وبطش الجبارين حتى صار أهل الإيمان فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة.

ثالثاً: عيسى عليه السلام - بزعم النصارى - لم يخلص البشر إلا باعتباره إلهاً أو ابناً لله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فلا يناسب وصفه بالرجل كما في هذه الرؤيا.

(١) تفسير ابن كثير، ٨/ ٨٦.

رابعـاً: لم يكن المســيح ﷺ من "الأمميين" بـل من بني إسرائيل. والرؤيـا تصرح بخروج هذا الرجل من بين الأمميين بل تؤكده أكثر من مـرة. فتقـول في أوله "يخـرج عن شِـمال الأمميين"، ثم تؤكـده بوصفها لـه بـ"«الفَـرَج» الذي يهبه الأمميون للشـعب الذي يكون من نسـلك." فتحديد مخرج المخلِّص من الأمميين ليس من سـهو الكاتب، بل هو مما يعضد ما ذهبنا إليه من تحديد زمانه، وهنا تحديد جهته.

أخـيراً: لفـظ "عبـدوه" في النص لا يعني العبـادة الحقيقية وإنما التبجيـل وتعلـق القلب. يدل عـلى ذلك ترجمة «كوليـك» النقدية التي نقلـت النـص هكـذا: "ومـن رأيتهـم يخرجون مـن ناحية الشـمال من الصورة وأولئك الذين يعبدونه، معناه: أن كثيراً من الأمميين سـيعلقون به آمالهم." فلا حجة فيه إذن على أن المراد عيسى ﷺ.

بقـي أمـر مهم وهـو أن عـدداً من علـماء أهل الكتـاب أنكر أن يكـون النص مقحماً من قبـل النصارى. يقول أحد مترجمـي الرؤيا إلى الإنجليزيـة «ريـزارد روبنكيفيتـس» في المقـال الذي كتبه لــ «قاموس آنكور الكتابي» بعنوان "رؤيا إبراهيم":

إن رؤيـا إبراهيـم ٢٩: ٤-١٣ تبرز مشـكلة مـن نوع خاص. فالمرء عادة يفترض أن الرجل الذي "يخرج من الشمال، ناحية الأمميين" ... يمثل شـخصية يسـوع. لـذا زعم بعـض النقاد أن هـذه الفقرة من إقحـام النصارى، أو لعلهـا "نظرة يهودية ليسـوع باعتباره رسـولاً إلى الأمميين" (EncJud ١٢٥:١-٢٧). لكـن التحليـل الدقيق للرؤيا يدلل عـلى أصالتها وأنها "لا تتعلق بنظرة النصارى ليسـوع، بل تستدعي «الوحش» في رؤيـا يوحنـا ١٣: ١-٤" (Hall ١٩٨٨). الرجـل الأممي يمكن أن يمثل الإمبراطور الرومي.[1]

وكلام «روبنكيفيتـس» هذا تَعرف منه وتُنكر. فزعمه أن الرجل الأممي يُذكِّرنا بالوحش في رؤيا يوحنا أو أنه الإمبراطور الرومي، بعيد كل البعـد؛ لأن الرؤيـا صريحـة في أن هذا الرجل سـيكون مبعثه فرجاً لأهل الأرض لا مصدراً لاضطهادهم وقمعهم.

أمـا قولـه بأصالة النص، فـإن كان المقصـود منـه أن ينفي كون النـص مقحـماً بأكمله من قبـل النصارى فهو كلام يؤيـده فيه غيره من العلماء من أمثال «روبرت هول» وغيره، وهو كلام معقول، إذ لا حجة

(1) The Anchor Bible Dictionary, vol. I, p. 42.

لمن زعموا أنه مقحم إلا عجزهم عن تفسير النص بشكل يستقيم مع السياق. وما ذكرته أعلاه من مناسبته لحال محمد ﷺ ينفي هذا الزعم الذي لا يقوم على دليل. وأما التحريف الجزئي للنص فممكنٌ كما سأبينه بعد قليل.

وبينما كنت أنظر إذ جاء كثرة من ناحية اليمين، فمنهم من شتمه، ومنهم من ضربه، لكن آخرين بجّلوه.

هذا موقف اليهود من المبشر به في الرؤيا: فإن منهم من عاداه وهم الكثرة الكاثرة، ومنهم من بجله وأطاعه وهم قلة جداً.

من أمثلة الفريق الأول ما جاء في قصة صفية بنت حيي بن أخطب - رضي الله عنها - أنها قالت: كنتُ أحَب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر؛ لم ألقَهُما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباءَ في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حييُّ ابن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلِّسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالَّين كسلانَين ساقطَين يمشيان الهُوَينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليَّ واحد منهما مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا

يـاسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم! قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيتُ.(١)

بـل تجاوز الأمر مجرد العـداء إلى محاولة قتل المصطفى ﷺ كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: لما فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَـاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ! فَجُمِعُـوا لَـهُ ... ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْتُـمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَـأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِـمِ. قَالَ: هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّـاةِ سُـمًّا؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ. قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ."(٢)

وقد بقي أثر هذا السـم إلى أن مات صلوات الله وسـلامه عليه كما في صحيـح البخاري من حديث عائشـة رضي الله عنهـا أنها قالت: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: يَا عَائِشَـةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ."(٣)

---

(١) سيرة ابن هشام، ١/ ٥١٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجزية، حديث رقم ٢٩٩٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

كما حاول بنو النضير من اليهود اغتيال النبي ﷺ فأعلمه جبريل عليه السلام وكان ذلك سبباً في جلائهم.

أما شتمهم أياه ﷺ فمعلوم؛ من ذلك ما ذكره ابن إسحاق من أنه لما سار علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة ودنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث. قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً.[1]

وقد كانوا يشتمونه في أشعارهم كما صنع كعب بن الأشرف، وكانوا إذا سلموا عليه قالوا: "السام عليكم"[2]، والسام هو الموت، وإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا! ورَّوا فقالوا: "راعنا" من الرعونة،[3] وغيره كثير.

أما الفريق الثاني – أعني من صدّق برسالته ﷺ واتبعه – فخير مثال عليه قصة الصحابي الجليل عبد الله بن سلام رضي الله عنه كما رواها

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم ٥٦٨٣؛ وصحيح مسلم، كتاب السلام، حديث رقم ٢١٦٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٢٥.

البخاري في صحيحه من حديث أنسٍ رَضِي الله عنه قال:

"بَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ. قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ؛ وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ؛ وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا. قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ. فَجَاءَتْ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ الْبَيْتَ فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟ قَالُوا: أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخْيَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ! قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ."[1]

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣١٥١.

ومن مشاهير من أسلم من اليهود السموأل بن يحيى المغربي صاحب كتاب «بذل المجهود في إفحام اليهود»، وسعيد بن الحسن الإسكندراني صاحب كتاب «مسالك النظر في نبوة سيد البشر ﷺ».

فهذا موقف اليهود من رسالة خاتم النبيين؛ منهم من عاداه وشتمه بل حاول قتله، وقليلون بجّلوه واتبعوا النور الذي أنزل معه.

وبينما كنت أرقب إذ رأيت عزازيل يقترب منه فقبله على وجهه ووقف خلفه.

تُقسم «الموسوعة اليهودية» الشياطين إلى قسمين: «سِعيريم» و«شيديم»، ثم تُعرِّف الـ «سعيريم» بأنهم "مطابقون للجن الموجودين في غابات الجزيرة العربية وصحاريها ... وإلى هذه الفئة ينتمي عزازيل."[1] يؤيد هذا ما رجحه «قاموس آنكور الكتابي» من أن "فهم «عزازيل» على أنه لقبٌ لشخصية شيطانية هو أكثر الآراء معقوليةً."[2]

(1) Jewish Encyclopedia (1906), p. "Demonology".
(2) The Anchor Bible Dictionary, "Azazel" vol. I, 536.

وهناك الكثير ممن يرجح أنه إبليس ذاته.[1]

وهذه الأفهام قريبة مما يعتقده المسلمون في إبليس، فهو من الجن كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف:٥٠]. أما كونه أصل الجن فقد وردت به آثار عن السلف؛ قال ابن جرير في تفسيره: "... عن الحسن قال: ما كان إبليسُ من الملائكة طرفةَ عين قطّ، وإنه لأصل الجنّ، كما أن آدم أصل الإنس."[2] وقد صحح إسناده ابن كثير في تفسيره.[3]

فالحديث عن عزازيل إذن هو حديث عن الجن، وتقبيله النبي الذي يُبعث في آخر الزمان ووقوفه وراءه كناية عن قبول الجن لدعوته. ويكفي في بيان هذا قول الحق تبارك وتعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ

(١) انظر على سبيل المثال:
Louis Herbert Gray. Mythology of All Races, 1931, p. 532.
Rosemary Guiley. Encyclopedia of Angels, 2004, p. 61.
Rabbi Leo Jung. Fallen Angels in Jewish, Christian and Mohammedan Literature, 2003, p. 61.

(٢) تفسير الطبري، ١/ ٢٩٥.

(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ١٨٧.

مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢].

كما فصَّل الله كلام الجن في سورة سميت باسمهم فقال تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾ [الجن: ١-٣] إلى أن قال جل شأنه على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا﴾ [الجن: ١٣].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ." قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "وَإِيَّايَ، إِلاَّ أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلاَ يَأْمُرُنِي إِلاَّ بِخَيْرٍ."(١)

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم ٢٨١٤.

وقد خلط علماء أهل الكتاب أيما خلط في تفسير معاندة عزازيل للنبي الموعود في هذه الفقرة، حتى إن بعضهم ظن أنه المسيح الدجال، أو دجال من الدجاجلة على الأقل. وسبب هذا عدم اعترافهم بنبوة محمد ﷺ، وإلا لما صعب عليهم فهم المراد.

ثم تشرع الرؤيا في تفسير ما رآه إبراهيم عليه السلام من شأن الرجل الموعود به بعد سؤاله عن حاله:

فقلت: أيها الأبدي! من الرَّجُل الذي شُتم وضُرب، ويجله الأمميون وقبَّله عزازيل؟ فأجاب قائلاً: "اسمع يا إبراهيم! إن الرجل الذي رأيته يُشتم ويضرب لكن يجله الكثير هو «الفَرَج» الذي يهبه الأمميون للشعب الذي يكون من نسلك، في الأيام الأخيرة، في الساعة الثانية عشرة من زمن الفجور".

فهو النبي الذي جعله الله رحمة للخلق، وكان أكثر أتباعه من غير اليهود، فإنه لم يسلم منهم إلا القليل؛ وكان مولده في السنة السادسة والخمسين بعد المائة والألف (١١٥٦) من تاريخ السبي البابلي، بداية زمن الفجور؛ وكان مبعثه في السنة السادسة والتسعين بعد المائة والألف (١١٩٦) من ذلك التاريخ. فميلاده ومبعثه في الساعة الثانية

عشرة (القرن الثاني عشر) من زمن الفجور؛ فهل بقي لأحد أن يرتاب في أنه سيد ولد آدم محمد ﷺ؟

لكن الرؤيا تضيف نصاً مريباً فتقول:

ولكــن في الســاعة الثانيــة عشرة من زمــاني الأخير، ســأقيم هذا الرجل من جيلك، الذي رأيته يخرج من شعبي، وكل من اتبع سيصبح مثــل هذا الرجــل، وأما الذين جعلتهم لنفــي فــسيلتحقون بالآخرين، أولئك الذين يريدون أن يغيروا ما بأنفسهم.

إن كان ثمــة فقرة في هذه البشــارة لم تســلم من التحريف فهي هــذه. دليــل ذلك أنــه بعــد التصريح الجلي بــأن المخلــص يكون من الأميين، وأنه هبة الأميين لغيرهم؛ عاد ليقول إنه "يخرج من شعبي" يعني اليهود أو بني إسرائيل. وهذا تعارض ظاهر. لهذا علق «ريزارد روبنكيفيتــس» عــلى الفقــرة بقولــه (نقلاً عــن «هــول»): "لا بد وأن تؤخذ باعتبارها تفســيراً مقحماً من أحد النصارى."[1] ولا شــك أنها محاولة لصرف البشارة عن محمد ﷺ العربي إلى عيسى عليه السلام الذي هو من بني إسرائيل.

---

(1) The Anchor Bible Dictionary, vol. I, p. 42.

وأما أولئك الذين يظهرون من ناحية الشمال من الصورة فمعناه: أن كثيراً من الأمم يعلقون رجاءهم به. أما الذين رأيتهم من ذريتك على يمين الصورة ممن شتموه وضربوه، فكثيرون يتأذون به، لكن البعض سيبجله. وسيمتحن من ذريتك أولئك الذين بجلوه في الساعة الثانية عشرة في المنتهى طمعاً في أن يقصر زمن الفجور.

ولا شك أن اليهود تأذوا عندما تيقنوا أن نبي آخر الزمان من العرب الأميين وليس منهم. وقد سبق الحديث عن شأنهم معه ﷺ.

ختاماً بعد أن فَسَّرتُ الرؤيا وفقاً لما أرى أنه الصواب، ها أنا أورد نصها دون تجزئة حتى يستوعب القارئ الفقرات في سياقها.

وقلت: "أيها الأبدي القادر! من هم الناس في هذه الصورة في هذا الجانب وذاك؟"

فقال لي: أما الذين عن الشمال فكل الذين وُلدوا قبل يومك وبعده، منهم من كُتب له الحكم والصلاح، وآخرون الانتقام والمحق في آخر الزمان. وأما الذين عن يمين الصورة فهم الذين جعلتُهم لنفسي، وقضيت أن يولدوا من صُلبك، ودعَوتُهم شعبي. حتى بعض أولئك الذين من عزازيل.

ورأيـت هنالك مثـل صنم الغيرة، منحوت من الخشــب، كذاك الذي اعتاد أبي صنعه، وكان جسده من النحاس اللامع يغطي الخشب. ورأيت أمامه رجلاً يعبد الصنم، وكان قدامه مذبح، وعلى المذبح غلام مذبـوح بين يدي الصنم. فقلت له: "مـا هذا الصنم وهذا المذبح، ومن ذلك القربان؟ وما هذا البناء العظيم الذي أرى حسَنَ الصنع والصورة، حُسْنه كذاك الذي تحت عرشك؟"

فقال: "اســمع يـا إبراهيم، إن الذي تراه هو الهيكل، نســخة من الذي في الســماوات، جليل في هيئته وحســنه، أعطيه لبني آدم ليرســموا كهنوتاً لاســمي المجيد، وتقام فيه صلوات النـاس، وتقدم فيه القرابين كما آمر قومك، أولئك الذين يقومون من جيلك. أما الصنم الذي رأيت فتمثـال الغـيرة، ينصبه بعض من يخرج من صلبـك في آخر الأيام. وأما الإنســان الذي يســفك الدماء قرباناً فذاك الذي يدنـس هيكلي، وأولئك شهود على الدينونة الآخرة، ونصيبهم مقدر منذ بدء الخليقة ..".

فنظرت وإذا الصورة تميل، وقد ظهر منها من ناحية الشــمال قوم فُجّـار فــسلبوا الذين عـن اليمين، رجالاً ونســاءً وأطفـالاً، فمنهم من قتلـوا ومنهم من ســبَوا. ورأيتهم يركضون وراءهم مـن أربعة منازل، فأحرقـوا الهيكل بالنار، ونهبوا كل ما فيه من المقدســات. فقلت: "أيها

الأبـدي، هـو ذا الشـعب الذي يخرج من نسـلي وقد رضيـتَ عنه بنهبه الفجـار، فمنهـم مـن قُتل ومنهم من سُـبي ليكـون عبـداً، والهيكل قد أحرقوه بالنار، وما فيه من حسنٍ سرقوه ودمروه. إن كان هذا سـيكون، فلم صدَعت قلبي؟

فقـال لي: "مـا رأيتـه سـيكون بسـبب ذريتـك، أولئـك الـذي يغضبـونـني بتمثـال الصـنم الـذي رأيت، وبسـبب القربـان البشري في الصـورة، وبغيرتهـم في فعـل الـشر ومكرهـم في الهيـكل، فكـما رأيت سيكون."

فقلت: "أيها الأبدي القادر! لتنصرف الآن أعمال الشر هذه التي عُملـت كُفـراً، ولكن أرني الذين ائتمروا بوصايـاك، بأعمال البر، فإنك على ذلك قادر."

فقـال لي: "إن أيام البر تـرى أنماطاً بحياة أولئـك الحكام الأبرار الذين سيقومون، الذين خلقتهم ليحكموا في أزمنة موقوتة. لكن اعلم أنه سيقوم منهم آخرون لا يهمهم إلا مصالحهم، من نمط أولئك الذين أريتكهم.

فأجبـت قائـلاً: "أيهـا القـادر! تقدس سـلطانك! هبني سـؤلي

وأرني، فإنك لهذا أحضرتني هنا، أيجري لهم ما أريتيه زمناً طويلاً؟"

فأراني حشداً من شعبه وقال لي: "بسببهم، في منازل أربعٍ كما رأيت سأغتاظ منهم، وفيها سيحق عليهم عقابي. وفي المنزلة الرابعة لمائة عام، التي هي ساعة من الدهر، أي مائة عام، سيكونون في نكبة بين الأميين، ولكن أيضاً لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأميين.

فقلت: أيها الأبدي! كم هي ساعات الدهر؟ فقال: اثنتي عشرة ساعة كتبت لزمن الفجور الحاضر أن يتسلط على الأميين وعلى ذريتك، وإلى نهاية الأزمان سيكون كما رأيت.

والآن احسب وافهم وانظر في الصورة ثانية!

فنظرت ورأيت رجلاً يخرج من الشمال ناحية الأميين. وخرج رجال ونساء وأطفال من ناحية الأميين، جموع غفيرة، وعبدته (أو بجلته).

وبينما كنت أنظر إذ جاء كثرة من ناحية اليمين، فمنهم من شتمه، ومنهم من ضربه، لكن آخرين بجلوه. وبينما كنت أرقب إذ رأيت عزازيل يقترب منه فقبله على وجهه ووقف خلفه.

فقلت: "أيها الأبدي! من الرَّجُل الذي شُتم وضُرب، ويجله الأمميون وقبَّله عزازيل؟ فأجاب قائلاً: "اسمع يا إبراهيم! إن الرجل الذي رأيته يُشتم ويضرب لكن يبجله الكثير هو «الفَرَج» الذي يهبه الأمميون للشعب الذي يكون من نسلك، في الأيام الأخيرة، في الساعة الثانية عشرة من زمن الفجور.

ولكن في الساعة الثانية عشرة من زماني الأخير، سأقيم هذا الرجل من جيلك، الذي رأيته يخرج من شعبي، وكل من اتبع سيصبح مثل هذا الرجل، وأما الذين جعلتهم لنفسي فسيلتحقون بالآخرين، أولئك الذين يريدون أن يغيروا ما بأنفسهم.

وأما أولئك الذين يظهرون من ناحية الشمال من الصورة فمعناه: أن كثيراً من الأمم يعلقون رجاءهم به. أما الذين رأيتهم من ذريتك على يمين الصورة ممن شتموه وضربوه، فكثيرون يتأذون به، لكن البعض سيبجله. وسيمتحن من ذريتك أولئك الذين يجلوه في الساعة الثانية عشرة في المنتهى طمعاً في أن يقصر زمن الفجور.

* * *

«عهد موسى» عليه السلام

«عهد موسى» عليه السلام The Testament of Moses اسم لأحد الأسفار المنحولة، ولا نعرفه إلا من مخطوطته اللاتينية الوحيدة التي تعود إلى القرن السادس الميلادي. لكن المخطوطة اللاتينية لا تعد أصلاً لهذا السفر، بل هي مترجمة عن نسخة سابقة يرجح أنها يونانية. يقول «جون بريست»:

> من الواضح أن النص اللاتيني ترجمة لوثيقة يونانية قد تعود إلى نهاية القرن الأول الميلادي أو بداية القرن الثاني. وقد افترض أغلب محققي النص الأولين أن اليونانية هي لغته الأصلية، لكن المجمَع عليه الآن هو أن النص اليوناني الذي كان بين يدي المترجم اللاتيني هو ذاته ترجمة لنص سامي. يبقى الخلاف فيما إذا كان النص السامي آرامياً أم عبرانياً، لكن الأخير أكثر احتمالاً[1].

ثم يضيف: "إن جل ما يثبته البحث الحالي هو أن النص الموجود لعهد موسى ينبغي أن يؤرخ بين السنة الرابعة قبل الميلاد وربما السنة

(1) The Anchor Bible Dictionary, "Moses, Testament of".

الثلاثين بعد الميـلاد."[١] وإذا كان النص اللاتيني المترجم عن اليونانية يعـود إلى القـرن الأول الميـلادي، فإن الأصل العـبراني أو الآرامي بلا ريب أقدم، وبناء عليه فإننا أمام وثيقة سـابقة لظهور الإسـلام بستمائة عام على الأقل.

النص وتفسيره:

يتحدث هذا السـفر عن عهدٍ عهِدَ به موسـى ﷺ قبـل وفاته إلى غلامه يوشع بن نون ﷺ الذي صار نبياً بعده، وهو عهد يسرد تاريخ وقد اعتمدت ترجمة «تشارلز» الإنجليزية وترجمة موسـى ديب الخوري العربية. وسأتجاوز ما لا يعنينا في هذا السـفر وأنتقل إلى المقصود حرصاً على الإيجاز.

يتحـدث الفصـل الثاني مـن هذا العهـد عن تاريخ أسـباط بني إسرائيـل، ثـم ينتهـي بالحديـث عـن ضـلال بنـي إسرائيـل وتعلقهم بآلهـة الأمـم الوثنية قائـلاً: "وسـيقدمون أبناءهم قرابين لآلهـة غريبة، وسـينصبون الأصنـام في الحـرم ليعبدوهـا، وفي بيـت الـرب يصنعون الفجور، وينحتون كل أشكال البهائم، بل يأتون أموراً عظاماً."

(١) مرجع سابق.

وقد تقدم الحديث عن عبادة بني إسرائيل لآلهة الكنعانيين وغيرهم من الوثنيين، وأن ذلك كان سبباً في سخط الله عليهم فسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب من البابليين بقيادة بختنصر. وهذا ما يتحدث عنه الفصل الثالث: "وفي تلك الأيام يأتي ملك من الشرق ضدهم، وستغطي فرسانه أرضهم، وسيحرق مستعمرتهم بالنار مع الهيكل المقدس للرب، وسينهب الآنية المقدسة كلها ...".

فالمِلك الذي يأتي من المشرق هو «بختنصر» البابلي، وقد فصلت الحديث في تدنيسه الهيكل الأول وحرقه إياه عند شرح «رؤيا أخنوخ» مما أغنى عن إعادته. ويلحظ القارئ أن السبي البابلي عام ٥٦٨ ق.م كان بالنسبة لليهود حدثاً عظيماً يؤرخ به كثيراً، كما جُعل بداية لـ "زمن الفجور" في «رؤيا إبراهيم» كما رأينا.

يستهل الفصل الرابع حديثه عن «دانيال» النبي عليه السلام الذي يجثو على ركبتيه سائلاً الله ﷻ أن يرفع عن بني إسرائيل ما حل بهم من بأس، فيستجيب الله دعاءه "عندها سيتذكرهم الرب بسبب الميثاق الذي عقده مع آبائهم، وسيظهر رحمته. وفي هذا الوقت سيُلهم أيضاً أحد الملوك ليشفق عليهم فيعيدهم إلى ديارهم، إلى بلدهم. عندها ستنهض بعض أقسام الأسباط وترجع إلى مكانها المحدد، وسيعيدون

بناء الأسوار."

المراد بـ "أحد الملوك" هنا هو الملك الفارسي «كورش» أو «قورش» الذي انتصر على البابليين وأعاد اليهود إلى فلسطين، وهناك أعيد بناء الهيكل وأصبح يعرف بـ «الهيكل الثاني».

لكن بني إسرائيل عادوا إلى ما نهوا عنه من عبادة آلهة الوثنيين فسلط الله عليهم قوماً آخرين يسومونهم سوء العذاب، حكام الدولة السلوقية التي سبق الحديث عنها. وقد أعرضت عن الفصلين السادس والسابع لأنهما لا يثبتان على رأي جمهور علماء أهل الكتاب.

كان من أعتى ملوك الدولة السلوقية «أنطيوخس الرابع» الذي يصفه الفصل الثامن بقوله: "وسيحل عليهم [يعني اليهود] عقاب ثانٍ وغضب لم يجربوه أبداً منذ البدء وحتى هذا الزمان، حيث سيحرض ضدهم ملك ملوك الأرض، والقوي بين الأقوياء، والذي سيصلب الذين يعترفون بختانهم. والذين ينكرونه سينكل بهم وسيرمي بهم مكبلين في السجن. وستوهب نساؤهم لآلهة الأمم. وسيعالج أطفالهم أطباء أطفال سيعيدون لهم القلف. وآخرون من بينهم سيعاقبون بالتنكيل بهم بالنار والحديد، وسيجبرون على حمل الأصنام أمام

الشعب نجسين مثل الذين يحرسونها ...".

يقول «تشارلز» في تعليقه على هذا الفصل: "إن العقاب الثاني دقيق جداً في وصف اضطهاد «أنطيوخس إيفانيس» بشكل لا يحتمل إشارته إلى قارعة أخرى."[١] وقد نقلتُ من قبل اقتباسات طويلة في بيان هذه النكبة التي أصابت اليهود في عهد هذا الملك الطاغية. وتحدثت هناك عن قيام سلالة الحشمونيين التي نجحت في تطهير الهيكل قرناً من الزمان. وهذا ما نقرأه هنا أيضاً في الفصل التاسع.

"عندها، في هذا اليوم، سيكون هناك رجل من سبط لاوي باسم «تاكسو»، له سبعة أبناء، وسيعظهم بهذه الكلمات: انظروا يا أبنائي، إن عقاباً يصيب الشعب، عقاب ثان عنيف ونجس، عقاب مكرر عن الأول بلا شفقة وأقسى منه. لأنه أي أمة أو أي بلد أو أي شعب كافر في نظر الرب، والمذنب بآثام كثيرة، قد عانى من هذا القدر نفسه من الشرور التي وقعت لنا؟ والآن يا أبنائي، استمعوا إلي، وانظروا ولاحظوا أن آباءنا ولا أسلافهم لم يعارضوا الله أبداً بخرق وصاياه.

(1) R. H. Charles. The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament (Berkeley, CA: The Apocryphile Press, 2004) vol. II, p. 420.

وأنتـم تعلمون أن هذه هي قوتنا. فهاكم ما سـنفعله: لنصم ثلاثة أيام، ولنمـض في اليوم الرابع إلى مغارة في الحقل، ولنمت بالأحرى بدلاً من أن نخرق وصايا رب الأرباب، إله آبائنا. لأننا إذا عملنا ذلك ومتنا فإنه سينتقم لدمنا أمام وجه الرب."

لكن السـفر ينتقل بنا إلى نهاية الزمان، علماً أن دولة الحشمونيين قامت وانتهت قبل ميلاد المسيح ﷺ. يقول النص:

"عندهـا سـيتجلى ملكوتـه بـين الخلق كلـه. وينـدحر الشـيطان ويتلاشـى الحـزن معـه. وعندها سـتمتلئ يـدا الرسـول رفيـع القدر، وسرعان ما سـينتقم لهم من أعدائهم ... لأنه سـيقوم الإله العلي الخالد وحده؛ وسـيظهر لكي يعاقـب الأمم، ويدمـر كل أصنامهم. عندها يا إسرائيل سعيداً ستكون ...".

قبـل الحديث عن تجـلي ملكوت الله في آخر الزمـان أود أن أبين اختلافـاً جوهرياً في ترجمة قوله: "وعندها سـتمتلئ يدا الرسـول رفيع القـدر؛ وسرعـان ما سـينتقم لهـم من أعدائهـم"، وسـبب الاختلاف غمـوض الأصل اللاتيني الذي لا نمتلك غيره. فتشـارلز مثلاً يترجم الفقـرة بقوله: "ثم سـتمتلئ يـدا الملاك الذي عين رئيسـاً؛ وسرعان ما

سيتقم لهم من أعدائهم."[1] أما ترجمة الخوري العربية – عن الفرنسية – فتقول: "وعندها سيُولَّى المُرسَل، المستقر في الأعالي؛ وسرعان ما سينتقم لهم من أعدائهم".

نلحظ أنه لا فرق بينهما في ترجمة النصف الثاني من الفقرة، أما النصف الأول فظاهر الاختلاف؛ وهذا يُحتّم علينا الاستعانة بالنص اللاتيني الأصلي. يقول النص اللاتيني:

Tunc implebuntur manus nuntii qui est in summo constitutes, qui protinus uindicauit illos ab inimicis eorum[2].

ومعناه الحرفي: "ثم ستُملأ يدا الرسول الذي وُضع في عُلوّ، الذي سرعان ما انتقم لهم من عدوهم."

(1) "Then the hands of the angel shall be filled Who has been appointed chief, And he shall forthwith avenge them of their enemies."

(2) Otto Fridolinus Fritzsche. Libri Veteris Testamenti: Pseudepigraphi Selecti (Lipsiae: F. A. Brockhaus, 1871), p. 151.

فدل هذا على أن كلمة "ملاك" في ترجمة «تشارلز» مجانبة للصواب، وأن كلمة "مُرسل" في الترجمة العربية أكثر دقة. لكن "الذي وُضع في علو" تظل مثار جدل؛ فالنسخة العربية - المترجمة عن الفرنسية - فهمت فيما يبدو أن العلو هنا هو السماء فترجمتها "المستقر في الأعالي". أما «تشارلز» ففهم منها الرفعة في القدر لا حقيقة المكان، فترجمها "الذي عُين رئيساً"، وأرى - والله أعلم - أن الأقرب ترجمتها بـ"رفيع القدر" أو "ذي المكانة" أو نحوهما. فيصير النص: "وعندها ستمتلئ بدا الرسول رفيع القدر؛ وسرعان ما سيتقم لهم من أعدائهم".

ثم يحدد موسى عليه السلام المدة بين موته ومجيء الرسول الخاتم رفيع القدر، فيقول: "وأنت يا يوشع (بن) نون، احفظ هذه الكلمات وهذا السِّفر؛ لأنه من موتي إلى مجيئه سيكون مائتان وخمسون زمناً. وهذا هو مجرى الأزمنة كما ستحل حتى تنتهي. أما أنا فسأمضي لأرقد مع آبائي. ولهذا كن قوياً وشجاعاً، أنت يا يوشع بن نون، لأن الرب اختارك لتكون خليفتي في الميثاق نفسه."

نحن إذن أمام محك صارم لتحديد زمن تجلي ملكوت الله واندحار الشيطان، وظهور الرسول رفيع المكانة. فهذه الفقرة تعطينا إطاراً زمنياً دقيقاً على غرار ما سبق في «رؤيا أخنوخ» و«رؤيا إبراهيم».

يقول موسى عليه السلام ليوشع بن نون عليه السلام إن من موته إلى زمن مجيئه، أي مجيء ملكوت الرب أو الرسول، مدة قدرها ٢٥٠ زمناً. فما المقصود بالزمن هنا: سنون أم عقود أم قرون؟

جلُّ علماء أهل الكتاب على أن المراد بالزمن هنا أسبوع من السنين، أي سبع سنين. يقول «تشارلز» في تعليقه على الفقرة: "٢٥٠ زمناً: تعني ٢٥٠ أسبوعاً سنوياً أي ١٧٥٠ عاماً."[١] ويعبر «م. ر. جيمس» عن شبه الإجماع هذا بقوله: "الأزمنة هنا تؤخذ عادة على أنها أسابيع من السنين، وهذا يعطينا ١٧٥٠ [عاماً]."[٢]

ومع ذلك يذهب علماء النصارى إلى أن المبشر به في الفقرة هو «المسيح» عليه السلام. وهذا الإصرار من جانبهم ليس له ما يؤيده من داخل النص ولا من خارجه. فإننا لو سلمنا جدلاً أن موسى عليه السلام توفي في القرن الخامس عشر قبل الميلاد – وهو التاريخ التقليدي عند أهل الكتاب –، فإننا سنجد أن مجيء النبي الموعود سيقع في القرن الثالث الميلادي، وهو تاريخ بعيد عن زمن المسيح عليه السلام. وحتى لو سلمنا

(1) R. H. Charles. The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament, vol. II, p. 423.
(2) M. R. James. The Biblical Antiquities of Philo (Forgotten Books, 2007), p. 289.

جدلاً أنه المسيح عليه السلام فلن يستقيم لنا تاريخ وفاة موسى عليه السلام، فإنه يصير قبل الميلاد بـ ١٧٥٠ عاماً، وهو ما لا يقبله علماء أهل الكتاب أنفسهم؛ فبطلت حجتهم في الحالين.

إن الصواب في هذه المسألة اعتماد تاريخ وفاة موسى عليه السلام بناء على ما حررته سلفاً من أن خروج بني إسرائيل من مصر كان في زمن الفرعون «رعمسيس الثاني»، وعليه فإن تاريخ هلاكه هو أيضاً تاريخ الخروج. فمتى كان هلاك هذا الفرعون؟

إن المراجع الشهيرة لا تختلف كثيراً في تحديد تاريخ وفاة رعمسيس الثاني؛ فـ «قاموس آنكور الكتابي» يحدد هلاكه بعام ١٢١٢ ق.م، والموسوعة البريطانية تحدده بـ ١٢١٣ ق.م، وعلى هذين التقديرين تسير جُلُّ المراجع المعتبرة المختصة بتاريخ مصر أو العهد القديم. فإذا كان هلاك فرعون موسى عام ١٢١٣ ق.م فإن موت موسى عليه السلام كان بعد هذا التاريخ بنحوٍ من أربعين عاماً – إذا ما اعتبرنا مدة تيه بني إسرائيل – أي في سنة ١١٧٣ ق.م أو قبلها بيسير؛ لأن دخول بني إسرائيل الأرضَ المقدسةَ بعد انقضاء مدة التيه كان بعد وفاة موسى عليه السلام على يد غلامه يوشع بن نون عليه السلام كما هو معلوم.

ولتبسيط الأمر يمكن تمثيله رياضياً كالتالي:

(تاريخ هلاك فرعون) - (مدة التيه) = (تاريخ وفاة موسى عليه السلام).

١٢١٣ ق.م - ٤٠ عاماً = ١١٧٣ ق.م

(تاريخ وفاة موسى عليه السلام) + (المدة بين موسى والنبي الموعود) = (زمن ظهور النبي الموعود).

١١٧٣ ق.م + ١٧٥٠ = ٥٧٧ م.

والدنيا كلها تعلم أنه ما ظهر في هذا التاريخ أعظم ولا أعز على الله ولا أصدق لساناً ولا أنقى فؤاداً ولا أنصح للعباد من رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ؛ وكان ميلاده عام ٥٧١ م، كما بشر موسى عليه السلام.

فإن قال مماحكٌ: هذا لا يستقيم، فبين التاريخين ستة أعوام.

قلنا: هذا من التعنت الظاهر، فإن موسى عليه السلام توفي قبل انقضاء التيه، لكننا لا نعلم في أي عامٍ على وجه الدقة حتى تدَّعي هذا الاختلاف، فبطل اعتراضك.

ثم يشير النص بعد تحديد زمان النبي الموعود إلى طرفٍ من صفته، فيقول:

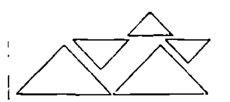
وسرعان ما سينتقم لهم من أعدائهم ... لأنه سيقوم الإله العلي الخالد وحده؛ وسيظهر لكي يعاقب الأمم، ويحطم كل أصنامهم.

فنعته بأنه سينتصر للمؤمنين من أعدائهم الكافرين وسيحطم أصنامهم، وكان ذلك يوم فتح مكة شرفها الله، إذ أخضع الله به رقاب العرب الوثنيين، فحطم أصنامهم التي كانوا ينصبونها حول الكعبة، وأرسل أصحابه يدكون صروح الوثنية في أنحاء الجزيرة العربية، ثم خلفه أصحابه رضوان الله عليهم فعاقبوا بقية الأمم المشركة فهزموا عُبَّاد الصليب في بلاد الشام وعُبَّاد النار في أرض فارس، حتى ظهر الإيمان واندحر الكفر، فلله الحمد.

وبعد أن أوردت بعض البشائر بالمصطفى ﷺ مما يُعرف بالأسفار المنحولة، أعود إلى الأسفار القانونية المعتبرة عند أهل الكتاب حتى لا تبقى لمنكر حجة.

الفصل الثاني

اسم النبي ﷺ في أسفار أهل الكتاب



«محمد» ﷺ في سفر "هوشع"

يزعم علماء أهل الكتاب أن أسفارهم "المقدسة" لا تحوي أثراً لاسم محمد ﷺ البتة، وأن قول الله ﷻ: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] هو محاولة لإضفاء شرعية وقداسة على الرسالة الخاتمةِ رسالةِ الإسلام التي هي عندهم دينٌ مقتبس عن اليهودية والنصرانية. وبغض النظر عن هذه المزاعم الباطلة إلا أن الحديث عما يسمى «الكتاب المقدس» (Holy Bible) ليس في الحقيقة حديثاً عن التوراة والإنجيل اللذين هما كتابان منزلان من عند الله. وعليه فلولم يرِد اسم محمد ﷺ في كتابهم الذي بين أيديهم ما كان ذلك قدحاً في تقرير القرآن الكريم.

فـ«الكتاب المقدس» ينقسم إلى قسمين رئيسين. العهد القديم: ويشترك في الإيمان به اليهود والنصارى، ويحوي هذا القسم أحكاماً وقصصاً تمتد من بدء الخليقة إلى القرن الخامس ق.م تقريباً كتبها عدد من المجاهيل الذين لا يُعلم حالهم. أما العهد الجديد فلا يقبله سوى النصارى، ويشتمل على سيرة المسيح ﷺ كما لفقها كُتّابها متى ومرقُص ولوقا ويوحنا، بالإضافة إلى رسائل يُنسب بعضها إلى بولس اليهودي وبعضها إلى غيره.

ولكن لتطمئن قلوب المؤمنين وتزداد قلوب الجاحدين حسرة ولا يُتهم المسلمون بالحيدة على أي حال؛ أُورِد هنا فقرات من العهد القديم التي يتفق اليهود والنصارى على قبولها؛ بقي فيها اسم «محمد» ﷺ صريحاً رغم عبث العابثين. وبغضِّ النظر عن صحة نسبة النصِّ إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أو بطلانه فإنه يبقى شهادة تاريخية سابقة لبعثة المصطفى ﷺ ودليلاً على ورود اسمه الكريم منذ ذلك الزمن في وحيٍ أصيلٍ أخفاه الأحبار والرهبان كما أخفوا غيره من الكتاب.

ترِد هذه الفقرات في سفر «هوشع» - الذي هو أحد أسفار العهد القديم المعتمدة - في سياق توبيخ بني إسرائيل على ما اقترفوه من الخطايا والآثام، إذ خاطبهم «الرب» قائلاً:

"١ لاَ تَبْتَهِجْ يَا إِسْرَائِيلُ وَلاَ تَطْرَبْ كَبَقِيَّةِ الشُّعُوبِ، لأَنَّكَ قَدْ خُنْتَ إِلَهَكَ وَهَجَرْتَهُ، وَأَحْبَبْتَ أُجْرَةَ الزِّنَى عَلَى كُلِّ بَيَادِرِ الْحِنْطَةِ. ٢ لِهَذَا فَإِنَّ الْبَيْدَرَ وَالْمِعْصَرَةَ لاَ يُطْعِمَانِكُمْ، وَالْخَمْرَةَ الْجَدِيدَةَ لاَ تُلَبِّي حَاجَتَكُمْ. ٣ لَنْ تَظَلُّوا مُقِيمِينَ فِي أَرْضِ الرَّبِّ بَلْ يَرْجِعُ أَفْرَايِمُ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ، وَيَأْكُلُوا لَحْماً نَجِساً فِي أَشُّورَ. ٤ لاَ تَسْكُبُوا لِلرَّبِّ خَمْراً وَلَنْ تَسُرَّهُ ذَبَائِحُكُمْ، بَلْ تَكُونُ لَكُمْ كَخُبْزِ النَّائِحِينَ. كُلُّ مَنْ يَأْكُلُ مِنْهُ يَتَنَجَّسُ، إِذْ يَكُونُ خُبْزُكُمْ لِسَدِّ جُوعِكُمْ فَقَطْ، وَلاَ يَدْخُلُ أَبَداً إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ."

[هوشع ٩: ١-٤].

وبعد فقرات من التوبيخ يسألهم الرب قائلاً:

מַה־תַּעֲשׂוּ לְיוֹם מוֹעֵד וּלְיוֹם חַג־יְהוָה: כִּי־הִנֵּה הָלְכוּ מִשֹּׁד מִצְרַיִם תְּקַבְּצֵם מֹף תְּקַבְּרֵם מַחְמַד לְכַסְפָּם קִמּוֹשׂ יִירָשֵׁם חוֹחַ בְּאָהֳלֵיהֶם: בָּאוּ יְמֵי הַפְּקֻדָּה בָּאוּ יְמֵי הַשִּׁלֻּם יֵדְעוּ יִשְׂרָאֵל אֱוִיל הַנָּבִיא מְשֻׁגָּע אִישׁ הָרוּחַ עַל רֹב עֲוֺנְךָ וְרַבָּה מַשְׂטֵמָה

ما تعسو ليوم موعِيد وليوم حج يهوه؟ كي هيني هالخو مشُّود. مصرايم تقبصم، موف تقبرم، مَحْمَد لخسبام، قيموش يراشم، حوح بأهُليهم. باؤو يَمي هبّجوداه، باؤو يمي هشُّلوم. يِدعو يسرَئيل إفيل هنَّفي، مِشُجَّع إيش هروح؛ عل روف عفونخا، فِرَبَّاه مسطماه.

وتفسيره وفقاً لأغلب التراجم العربية والأعجمية - مع فروق يسيرة -:

٥ ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب. ٦ إنهم قد ذهبوا من الخراب؛ تجمعهم مصر، تدفنهم موف، يرث القريص نفائس فضتهم، يكون العوسج في منازلهم. ٧

جاءت أيـام العقاب، جـاءت أيام الجزاء، سـيعرف إسـرائيل
النبي أحمق إنسـان الروح مجنون من كثرة إثمك وكثرة الحقد.

إن جلَّ الترجمات العربية والأعجمية فسـرت هذا النص تفسـيراً عجباً لا يكاد يفصح عن معنى مفهوم، بل لا يعدو رصاً لجمل متنافرة لا يربطها رابط. فما هو "يوم الموسـم"؟ وما هو "يوم عيد الرب"؟ وما معنى "سـيعرف إسـرائيل، النبي أحمق، إنسـان الـروح مجنون، من كثرة إثمك وكثرة الحقد."؟

وهاك نماذج من هذه الترجمات وأغلاطها:

النسـخة السـبعونية اليونانيـة (Septuagint): "لأنهم أُولاءِ يخرجون من بلاء مصر."[1]

النسخة الدولية الجديدة (NIV): "وإن فروا من الخراب، مصرُ تجمعهم."[2]

النسـخة القياسـية المنقحة (RSV): "لأنهـم أولاء يخرجون إلى

(1) "dia touto idou poreusontai ek talaiporias Aiguptou".
(2) "Even if they escape from destruction, Egypt will gather them."

أَشُّور، مصرُ تجمعهم."[1]

إن العجب من هذا التباين سرعان ما يتلاشى إذا ما رجع الباحث إلى النص العبراني لسفر «هوشع» ليرى أن الترجمات المختلفة أبعد ما تكون عن الدقة، وإنما أوكلت في كثير من الأحيان إلى من ليس من أهل اللغات «السامية»[2] وإن كان من المختصين بها؛ فتراه يقلّب معاجم العبرية يهرع إلى أي معنى يحتمله السياق وهو لا يمتلك سليقة تدله على المعنى المراد من بين عشرات المعاني أحياناً. وجُلّ الترجمات إنما قام بها هؤلاء الأعاجم.

فالنسخة السبعونية اليونانية أضافت كلمة (talaiporias) التي تعني الشدة والبلاء (أو الخراب أحياناً) إلى كلمة (Aiguptou) (أي "مصر") لتصبح العبارة "بلاء مصر". ومع أن هذا المعنى مقبول في نفسه إلا أنه لا ينسجم أبداً مع السجع المقصود في النص كما سيأتي بيانه بعد قليل.

---

(1) "For behold, they are going to Assyria; Egypt shall gather them…".

(٢) درج وصف «السامية» على ألسنة الباحثين رغم خطئه، والصواب أن يقال «اللغات العربية القديمة» أو نحوه.

كما نلحظ أن ما اعتبرته النسخة «السبعونية» اليونانية إضافةً اعتبرته «النسخة الدولية الجديدة» (NIV) كلمتين منفصلتين؛ فـ "من بلاءِ مصرَ" تصبح "من الخرابِ، مصرُ ...".

أما «النسخة القياسية المنقحة» (RSV) فقد أغربت كثيراً حتى إن المرء ليتساءل: أي يد خرقاء قامت بها؟ فقد ترجمت حرف الجر «مِ» (ومعناه "مِن") بـ "إلى"، وهو عكس المقصود تماماً! ثم فسرت كلمة «شود» (أي "البلاء") بـ «أشُّور» التي ينسب إليها الأشوريون، فصارت "يذهبون إلى أشور". وأي تشابه ثمة بين شود (שׁד) وأشور (אשׁור) في العبرانية حتى يُلتمس العذر للمترجم؟ إنه مثال بيِّن على تحريف المترجمين لا يمكن تفسيره إلا أنه اتباع للهوى أو جهل كثيف. ولعل قارئاً نبّه دار النشر إلى هذا الخطأ الجلي فغُيِّر في «النسخة القياسية المنقحة الجديدة» (NRS) إلى "وإن فرُّوا من الخراب" على غرار «النسخة الدولية الجديدة».

لقد كانت العبرانية إحدى اللغات العربية القديمة كالسبئية والثمودية، تحدَّث بها الكنعانيون العربُ الذين قطنوا فلسطين، ثم اتخذها اليهود لساناً لهم وأسمَوها "سِفَت كنَعَن" أي «لسان كنعان» كما يشهد لذلك سفر إشعياء (١٩ : ١٨)، لكنها لما فقدت علاماتها

الإعرابية - كحال كثير من اللغات العربية القديمة - أصبح من الصعوبة تحديد المعاني بدقة كما في النص الوارد أعلاه؛ فلو كانت كلمة «مصرايم» تحمل علامة رفع لعُلِم أنْ ليست متعلقةً بـ«شود» (أي "بلاء")، بل هي جملة مُستأنفة. وفي هذا تقول الموسوعة البريطانية:

كان للغة السامية [العربية الأُم] في الأصل ثلاث حالات: (الرفع والنصب والجر). لكن العلامات الإعرابية التي ميزت تلك الحالات لم تُحفظ حفظاً كاملاً إلا في بعض اللهجات الأكّادية وفي العربية الفصحى.[1]

أعود فأقول إن القارئ للفقرتين ٥ و٦ في أصلهما العبراني لا يغيب عنه ما فيهما من تناظر وسجع تنتظم به الجمل تلقائياً دون تكلُّف أو تعسُّف. يقول النص:

مِصرايم تِقَبْصِم[2]	(مصر تحشرهم)
موف تِقَبّرِم	(موف تقبرهم)
مَحْمَد لِجَسْبَام	(نفيس فضتهم [؟])

(1) Encyclopedia Britannica. "Semitic Languages".

(٢) من «قبص» العبرانية (ويقابلها في العربية «قبض») بمعنى "جمع" أو "حاز".

قِمُــوش بِيراشِم (القريص[1] يرثهــم)

حُــوَح بأُهُليهم (العوسج في منازلهم)

فيلحظ أن الجمل الثلاث الأولى تبدأ بالميم، كما أن كل جملة تنتهي بميم الجمع التي تقابل «ـهم» في العربية، وهو نظم يذكّرنا بنظم الموَشّحات الأندلسية، كقول ابن المهلهل واصفاً الطبيعة:

النهر سل حساماً على قدود الغصون

وللنسيم مجالُ

والروض فيه اختيالُ

مُدت عليه ظلالُ

... إلى آخر ما قال.

المقصود أنه عند اتباع النظم الصحيح للنص يتبيَّن أن «مصرايم» مبتدأ وليست مضافاً إليه كما اقترحت النسخة السبعونية. فلما أخطأت النسخة السبعونية بأن اعتبرت «[مـ]شُود مصرايم» مضافاً ومضافاً إليه ترتب على ذلك أن أعادت صِياغةَ الفقرتين بعدها على النحو

(١) أو القُرّاص، وهو نبات.

التالي:

تقــبصـــــم مـــوف	(نحــشــرهـــــم مـــوف)
تقـــبـــرم محـمـــاس	(تقــبرهم محـمـــاس [؟])[1]
لخسبام قيموش يراشيم	(أما فضتهم فيرثها الخراب)
حـــوح بأُهُلـيـــهــــــم	(ويكون العوسج في خيامهم)

وبهذا يتبيَّن أن النسـخة السـبعونية أفقدت النص نظمه وإيقاعه، بل وأخلّت - كغيرها من النسـخ - بقواعد الإعراب في الجملة الثالثة.

ولم يقـف التحريـف عند تغيير المبنى، بل حُـرف المعنى كذلك. وهنا سـأركز الحديث على معنى النص لـيرى القارئ كيف أن تلاعب المترجمـين حـوَّل نصـاً صريحـاً في نبـوة المصطفـى ﷺ إلى جُملٍ شـديدة الركاكة باهتة المعاني أشبه ما تكون بسـجع الكهان.

(١) وهو تحريف للكلمة الأصلية "م-ح-م-د" كما سأبيّنه لاحقاً إن شاء الله.

تفسير النص:

أما قوله: (ما تَعشُو ليوم موعِيد وليوم حج يهوه؟) فليست له علاقة بالمواسم والأعياد، وهذا ظاهر من السياق، إنما هو تخويف وتذكير لبني إسرائيل الذين ابتعدوا عن منهج الله وعصوا رسله. فمَن ترجمهُ بقوله "ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب؟" أبعد النجعة وأحال الوعيد عيداً. فالنص العبراني يقول: (ل-يوم) ومعناها "لِيَومِ" وليس (ب-يوم) "في يوم". وعليه فالصحيح أن تترجم هكذا: "ما أنتم عاملون ليوم الميعاد[1] ويوم يحشركم الرب؟"، فكلمة "حَج" في العبرانية هي كل اجتماع حاشد، وإنما استُعيرت للعيد لاجتماع الناس فيه. ومعنى الجملة يُذكِّر بقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

وأما قوله (كي هيني هالخو مِشُّود: مصرايم تقبصم، موف تقبرم) فتفسيره "فهاهم أولاء نجوا من البلاء: مصر تأسرهم ومنف[2] تقبرهم [أو تدفنهم]." وهو تذكير لبني إسرائيل بما تعرضوا له من ابتلاء

(١) "موعيد" في النص العبري.

(٢) منف: مدينة مصرية قديمة.

على يد فرعون وقومه، فالنص يشير إلى النجاة من البلاء، والاستعباد، والقتل، وهو معنى قريب جداً من قول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾.

لكن اضطهاد المصريين ليس كلَّ ما تعدُّده الفقرة من ابتلاء لبني إسرائيل، فهي تستمر قائلة (مَحْمَد لخسبام)، وهنا بيت القصيد؛ فقد تُرجمت هذه العبارة بـ "نفائس فضتهم" وهو من التحريف الظاهر لأمرين رئيسين. أولهما: أن إضافة «مَحْمَد» (بمعنى "نفيس") إلى «خسبام» (أي "فضتهم" أو "مالهم") من الركاكة بمكان، لوقوع حرف الجر «ل» بينهما؛ حتى إن «فيلهلم جسنيوس» في كتابه «نحو اللغة العبرانية» Gesenius' Hebrew Grammar أورد احتمال أن تكون العبارة في أصلها (محمدي خسبام)، وهي صيغة الإضافةِ السَويةُ في العبرية.

الأمر الآخر: إن سلَّمنا جدلاً بصحة الإضافة في (مَحْمَد لخسبام) "نفيسُ فضتِهم [أو "مالهم"]" فهي رغم ذلك ليست جملة مفيدة، فهي تحوي مبتدأ يفتقر إلى خبر، أو خبراً لمبتدأ محذوف لا نعلمه، مما اضطر المترجمين إلى أن يربطوها بـ (قيموش ييراشم) التي تليها، فقالوا "يرث

القريص نفائس فضتهم"؛ وهي محاولة بائسة للهروب من المأزق. لكن الجملة لا تستقيم رغم ترقيعهم هذا، لأننا لو ترجمنا النص العبري حرفياً لصار "نفيسُ فضتهم القريصُ يرثهم" بمعنى أن ضمير الجمع «هم» سيعود على المفرد «نفيس» وهو ما لا يستقيم في اللغة العبرانية، وإنما يقال "نفيس فضتهم القريص يرثه"، ولو افترضنا أن الضمير يعود على «فضة» - وهو بعيد جداً - فالاعتراض قائمٌ لأنها مفرد وليست جمعاً حتى في أصلها العبري (لـ[كسف]ـم). فدل ذلك على أنها جملتان وليستا جملة واحدة.

فما معنى الجملة إذن؟ إن (مُحَمَّد لِحَسَام) عبارة وجيزة مستأنفة معناها الحرفي "مُحَمَّدٌ لِمالهم"، فـ«محمد» اسم عَلَم يشير إلى النبي ﷺ وليس صفة بمعنى «نفيس»، يشهد لهذا أمران على الأقل، أولهما: أن الجملة بغير هذا الشكل لا تستقيم لا معنىً ولا مبنىً كما سبق بيانه. ثانياً: لـمَّا تعرَّض مترجمو النسخة السبعونية لهذه الفقرة كانوا يدركون أن «محمد» اسم علم، فكأنهم حاروا ما يفعلون، فلجأوا إلى تغيير الاسم إلى «مَخْمَس» (Machmas)، أي مدينة «مخماش».

ولعل قائلاً يقول: ألا يمكن أن يُعتذر لهم باحتمال أن حرف الدال لم يكن بيِّناً في الأصل العبراني فأشكل على المترجمين؟ فأقول:

أولاً، إن حرفي السين (سامخ) والدال (دالِت) في العبرانية لا يتشابهان البتة والخلط بينهما بعيد، فالأول يكتب هكذا (ס) والآخر يكتب هكذا (ד)! ثانياً: لو افترضنا ذلك جدلاً فإن مدينة «مُخماش» التي يريدها المترجمون هنا لا تكتب في العبرية «محمس» وإنما (מִכְמָס) «مِكمَس» أو (מִכְמָשׂ) «مِكمَش» بكاف وسين أو كاف وشين؛ فالتحريف لم يقع في حرفٍ واحد فحسب، بل في حرفين اثنين.

وقد يعترض معترض فيقول: لِمَ بَدّلتَ «مُحْمَد» فجعلتها «مُحَمَّد»؟ والجواب أن النص العبري ظل أكثر من ألف عام مجرداً عن الحركات إلى أن أضافها «المَسُوريُّون» من علماء اليهود بين القرنين السادس والتاسع بعد الميلاد وفق اجتهادهم، فأصابوا بعضاً وأخطأوا بعضاً. فالكلمة قبل تحريف المسوريين كانت (מחמד) «محمد» دون حركات، ولم تكن (מַחְמַד) «مَحْمَد»، وهذا مما يُجمع عليه علماء العهد القديم. فلم يبق إلا الإذعان بأن «محمد» علم على النبي ﷺ.

والمراد من الفقرة أن محمداً ﷺ سيتولى تأديبهم في أموالهم، وحصل ذلك عندما أجلى بني النضير إلى أذرعات من أعالي الشام وإلى خيبر حتى إن أحدهم كان ينزع باب داره وسقفها لئلا يخلفها وراءه»، كما جاء في سورة الحشر ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن

دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحشر: ٦].

أما قوله: (قيموش بيراشم، حوح بأُهْليهم) فسأعتمد فيه ترجمة النسخ العربية "القريص يرثهم، والعوسج في منازلهم" - تنزُّلاً لا قبولاً - حتى لا أطيل على القارئ.

ثم يعود الرب إلى تحذير بني إسرائيل من مغبة كفرهم وأن أيام المُساءلة قد أزفت فيقول: (باؤو يمي هبجوداه، باؤو يمي هشِّلُّوم) أي "أزفت أيام العقاب وحلت أيام الجزاء". واستعمال الزمن الماضي هنا دلالة على التحقق والوقوع لا محالة، كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ١].

ثم بيَّن السبب في هذا التهديد والوعيد فقال: (يِدعو يسرائيل إفيل هنَّفي، مِشُجَّع إيش هروح) وترجمتها كما في ترجمة «فان دايك»

"سيَعرِف إسرائيل، النبي أحمق، إنسان الروح مجنون." وهي كما ترى غاية في الركاكة والإبهام، والسبب في هذا أن جل الترجمات العربية والأجنبية اعتبرت الفعل العبري «يدعو» مشتقاً من «ي-د-ع» بمعنى "عَرَف"، والصحيح أنه مشتق من "د-ع-هـ" بمعنى "دعا". وهذا الفعل ثابت في العبرانية كما فصل ذلك «جيمس بار» في كتابه «فقه اللغة المقارن ونص العهد القديم».[1] فالجملة (يِدعو يسرائيل إفيل هنَّفي، مِشُجَّع إيش هروح) تتألف من فعل متعدٍّ إلى مفعولين، وفاعلٍ، ومفعول به ثانٍ مقدَّم، ومفعول به أول مؤخر، ثم مفعول به ثانٍ مقدَّم؛ ومفعول به أول مؤخر مضاف. وعليه فالترجمة الحرفية للفقرة هي "تدعُو إسرائيل النبيَّ سفيهاً، ورجلَ الروح مجنوناً"، والمراد بـ«إسرائيل» هنا بنو إسرائيل. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

(1) Barr, James. Comparative Philology and the Text of the Old Testament (Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns, 1987), p. 23.

ثم بيّن النصُّ ما دفع اليهود إلى هذا السباب والجحود فقال (عل روف عفونخا، فرباه مسطاه) "لكثرة آثامك وفرط عدائك".[1] فسبب تكذيب اليهود للنبي ﷺ وشتمهم إياه - بشهادة أسفارهم - هو فرط عدائهم، وهو كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

وفي قصة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها سالفة الذكر أنها قالت: كنت أَحَب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباءَ في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حييٌّ بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلِّسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالَّين كسلانَين ساقطَين يمشيان الهُوَينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من

---

(١) هنا التفات من الغيبة إلى الخطاب، أي انتقال من صيغة الغائب "يدعو إسرائيلُ" إلى صيغة المخاطب "آثامكَ" و"عدائكَ"، وفائدته البلاغية لفت المستمع أو القارئ إلى أمر ذي شأن. وقد سبق ورود التفات آخر عند قوله "ما أنتم عاملون ... فهاهم أولاء نجوا من البلاء" والأصل "فهاأنتم أولاء نجوتم من البلاء". وهذا لا يعنينا كثيراً هنا وإنما أردت به بيان مُراوحة الضمائر وأن ذلك لا يغيِّر من أصل معنى النص شيئاً.

الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت".[1]

هنا أختم بعرض ترجمة «فان دايك» العربية للنص أعلاه وأتبعها بترجمتي التي اعتمدت فيها الأصل العبري وأترك للقارئ الحكم.

ترجمة فان دايك: "ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب؟ إنهم قد ذهبوا من الخراب، تجمعهم مصر، تدفنهم موف، يرث القريص نفائس فضتهم، يكون العوسج في منازلهم. جاءت أيام العقاب. جاءت أيام الجزاء. سيعرف إسرائيل، النبي أحمق، إنسان الروح مجنون، من كثرة إثمك وكثرة الحقد."

ترجمة الباحث: "ما أنتم عاملون ليوم الميعاد، ويوم يحشركم الرب؟ فهاهم أولاء نجوا من البلاء: مصر تأسرهم، ومنف تدفنهم، ومُحَمَّد يغنمهم، والقريص يرثهم، والعوسج في ديارهم. أزفت أيام العقاب وحلت أيام الجزاء، فبنو إسرائيل يدعون النبي سفيهاً وذا

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥١٩.

الوحي[1] مجنوناً، من عِظَم الإثم وفرط العداء."

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦-١٤٧].

(١) «إيش هروح» التي تترجم بـ «إنسان الروح» معناها "ذو الوحي" وهو وصف لمحمد ﷺ إذ سُمي القرآن الذي أنزل عليه "روحاً" في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورًا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

الفصل الثالث

قبلته ﷺ مثابة للناس

«بكة» في سفر المزامير

في تعليق على «سفر المزامير»[1] ينقل اللاهوتي القسّ «جورج بوش»[2] عن المفسر «روزِنْمولر»[3] قوله: "إن الجزء الأول من المزمور [الرابع والثمانين] لا يمكن إيضاحه بمثالٍ خيرٍ من – ولا يُسأ فهم مقصدنا! – أولئك الذين يحجون إلى مكة."[4] وهو هنا يعرّض بالمسلمين كما سترى؛ فما هي الحقيقة التي يخشى أن ينصرف إليها كلامه؟

يقول المزمور الرابع والثمانون وفقاً لترجمة «فان دايك» العربية الشهيرة:

---

(١) سِفر المزامير: أحد أسفار العهد القديم التي يشترك في قبولها اليهود والنصارى وينسبونه إلى داود ﷺ.

(٢) جورج بوش: لاهوتي ومفسر أمريكي يلتقي نسبه بالرئيس الأمريكي الأسبق «جورج ووكر بوش». له كتاب «حياة محمد [ﷺ]» وتفاسير على ما يسمى الكتاب المقدس. هلك عام ١٨٥٩ م.

(٣) إرنست فريدريك روزنمولر: لاهوتي ومفسر ألماني. كان أستاذاً للغات الشرقية جامعة «لايبيج» الألمانية، وله مؤلفات وتفاسير لما يسمى الكتاب المقدس. هلك عام ١٨٣٥ م.

(4) Bush, Rev. George. Illustrations of the Holy Scriptures (Philadelphia: J.B. Lippincott & Co., 1865), p. 396.

"طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك (سلاه)؛ طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم؛ عابرين في وادي البكاء يصيِّرونه ينبوعاً، أيضاً ببركاتٍ يُغطّون مورة؛ يذهبون من قوة إلى قوة، يُرون قدام الله في صهيون." (مزامير ٨٤: ٥-٨).

إن غموض المعنى في هذا المزمور مما يثير الشك بأن تحريفاً قد حصل من قِبل المترجمين عن الأصل العبراني، مما يجعل الرجوع إلى الأصل العبراني[1] مما لا مندوحة عنه. يقول النص العبراني:

אַשְׁרֵי יוֹשְׁבֵי בֵיתֶךָ עוֹד יְהַלְלוּךָ סֶּלָה׃ אַשְׁרֵי אָדָם עוֹז־לוֹ בָךְ מְסִלּוֹת בִּלְבָבָם׃ עֹבְרֵי בְּעֵמֶק הַבָּכָא מַעְיָן יְשִׁיתוּהוּ גַּם־בְּרָכוֹת יַעְטֶה מוֹרֶה׃ יֵלְכוּ מֵחַיִל אֶל־חָיִל יֵרָאֶה אֶל־אֱלֹהִים בְּצִיּוֹן

آشري يوشفي فيتخا عود يهلّلوخا، (سله)؛ آشري آدام عوز لو باخ، مسيلوت بِلفافام، عوفري بعمق هبكا مِعيان يشيتوهو، جم براخوت يَعطِه مورِه، يِلخو مِحايل إل حايل، يرائيه إل إلوهيم بصيون.

(١) يعد "الأصل العبراني" الذي بين أيدينا أصلا للنسخ المحرفة المطبوعة، لكنه ليس هو التوراة الأصلية ولا قريباً منها، فهو زاخر بالتحريف والتبديل.

يتحدث النص هنا عن بَركةٍ تنال صنفين من الناس؛ أحدهما «يوشفي فيتخا» أي "ساكنو بيتك [أي بيت الرب]" ويصفهم النص بأنهم يسبحون الرب أبداً فهم في عبادة دائبة. والصنف الآخر «عوفري بعِمق هبكا» "عابرو وادي البُكاء" وهم الذين يأتون من كل فجٍّ عميق وقد امتلأت قلوبهم بالشوق إلى بيت الله "طرق بيتك في قلوبهم".

وهذان الصنفان اللذان أشير إليهما في سفر المزامير جاء ذكرهما في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. يقول تعالى في سورة الحج: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥].

يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم، وأنهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصد عن سبيل الله ومنع الناس من الإيمان، والصد أيضاً عن المسجد الحرام، الذي ليس ملكاً لهم ولا لآبائهم، بل الناس فيه سواء، المقيم فيه، والطارئ إليه."[1]

(١) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تفسير سورة الحج.

فـ "العاكف" – أي المقيم – في الآية الكريمة يقابله "ساكنو بيتك" في نـص المزامـير، و"البـاد" – أي الطـارئ عـلى البيت – يقابلـه "عابرو وادي البكاء". لكن وادياً يدعى «وادي البكاء» لم يُعهد بمكة حتى يقال إن النص إشارة إلى وفود الحجيج. فأين يقع «وادي البكاء» إذن؟

لقـد تخرَّص شـارحو العهد القديـم أيما تخرص عند تفسـيرهم لوادي البكاء. فقال البعض إنه سـمي كذلك لكثرة بكاء الحجيج أثناء عبورهـم إلى القدس، مع أن القدس «أورشـليم» غير مذكورة في نص المزمور. وقال آخرون هو اسـم لشـجرة «البكاء» أو «البكء» التي ربما كانـت تمـلأ الـوادي، إلا أن عالم الآثار «الإسـكندر ماكاليسـتر» يؤكد عدم وجود مثل هذه الشـجرة في أرض فلسطين.[1] لذا أقر البعض بأن الكلمة العبرية (ب–ك–ا) أكثر الكلمات صعوبة في سفر المزامير.

بالرجـوع إلى النـص العـبراني نجـد أن "وادي البـكاء" ترجمـة لـ «عِمِق هـ–بكا». فأما «عِمِق» فتعنـي "وادي"، وأما «هـ» فهي أداة التعريف في العبرانية. لكن الذي لا يسـلِّم لشُراح العهد القديم هو أن

(1) International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003), "Balm".

(ب-ك-ا) في هـذا النـص هو البـكاء. فالكلمة هنا علَـمٌ على موضع يدعى "بكا" لا يعرفه الشراح أو لا يريدون معرفته. يقول تفسير The New Interpreter's Bible: "«بـكا» يؤخـذ عـادة على أنه اسـم علـم. مكانـه مجهول، لكـن يبدو أنه بقعـة جرداء إليهـا يجلب الحجيج غوثـاً."(١) ولهـذا اكتفت جُلّ النسـخ الإنجليزية بكتابة الاسـم كما هو (Baca).

إن الترجمة الصحيحة لـ «عِمِق هـ-بكا» هي "وادي بكة" الذي فيـه بيـت الله الحرام قـال تعـالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. ولـولا خشـية الإطالـة لأوردت أقوال المخالفين من اليهود والنصارى وما تستحقه من إبطال.

ثـم يضيـف النص العبري قائلاً «مِعيان يشـيتوهو»؛ وقد ترجمته النسـخ العربيـة "يجعلونه ينابيـع ماء" ونحـوه، أما النسـخ الإنجليزية فتباينـت كثيراً في ذلك. فمنها ما وافق النسـخ العربيـة ومنها ما ترجمه

(1) The New Interpreter's Bible (Nashville: Abingdon Press, 1994), Vol. 4, pp.1013-14.

"يعُدُّونه عيناً" كنسخة «الجمعية اليهودية للنشر»، أو "يجدون ماء عين يشربون منه" كـ«النسخة الأمريكية الحديثة». وعلى الرغم من اختلاف هذه النسخ إلا أنها تتفق في وجود عين أو بئر حول هذا البيت الحرام. وهذا لا يَصدُق إلا على بئر زمزم التي نبعت من تحت قدمي إسماعيل ﷺ.

يستمر النص العبري قائلاً «جَم براخوت يَعطِه مورِه» وترجمتها وفقاً لنسخة «فان دايك» العربية "أيضاً ببركاتٍ يُغطّون مورة"، وقد أبعد المترجمون النجعة فجاءت ترجمتهم باهتة لا تناسب السياق. والصحيح أن «براخوت يَعطه موره» تعني "الشارع [أو المُشرِّع] يمنح البركات" وإليه ذهبت الترجمة السبعونية اليونانية. أما البركات هنا فهي التي أشير إليها في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.

ثم يصف النص بعض أعمال الحجيج بقوله «يِلخو مِحايل إل حايل» وتفسيرها – كما تزعم نسخة «فان دايك» وغيرها – "يذهبون من قوة إلى قوة". وكان هذا الجزء من النص هو الذي دفعني إلى دراسته بلغته الأصلية. فالنص في ترجمته العربية وأغلبِ الترجمات الإنجليزية، بالغُ الركاكة كما ترى، لا يُدرى المراد منه. فلما رجعت إلى النسخة

العبرانية وجدت أن الكلمة (ح-ي-ل) قد تُرجمت على المجاز - "قوة" - لا على الحقيقة، وأن الكلمة في العربية بمعنى «حائل» وهو الحاجز بين شيئين، فهي السور والمتراس والجبل والتل والمرتفع من الأرض. وبقيت مدةً أبحث في المعاجم العبرانية وترجمات العهد القديم إلى أن وجدت بُغيتي أخيراً في الترجمة العربية اليسوعية التي ترجمت الفقرة بقولها "من ذُروة إلى ذُروة يسيرون." ثم زادني يقيناً ما وجدته في الترجمة العربية المشتركة "ينطلقون من جبل إلى جبل"، فأدركت أني لم أكن واهماً وأن الفقرة تشير إلى السعي بين الصفا والمروة.

ثم يختم النص سير الحجيج بقوله «يرائيه إل إلوهيم بصيون» وتفسيرها حسب ترجمة «فان دايك» "يُرَون قدام الله في صهيون". وهنا قد يورد البعض إيراداً وجيهاً وهو: ما مناسبة ذكر "صهيون" في هذا النص إن كان يتحدث عن حجاج بيت الله في مكة؟ والجواب على هذا الإيراد من وجهين؛ الوجه الأول: أن متن العهد القديم الذي يسميه أصحابه «توراة» نالته يد التحريف والتبديل بنص القرآن، بل باعتراف علمائهم، فلا يُستغرب أن تكون كلمة "صهيون" هنا من تبديل النساخ.

أما الوجه الآخر: فلو سلّمنا جدلاً بسلامة النص العبراني فالفرق بين (صِ-ي-و-ن) (أي "صهيون") و(صَ-ي-و-ن) (أي

"الأرض القاحلـة") هو حركة الحـرف الأول، علماً أن هذه الحركات أُلحقـت بالنص العبراني بعد كتابته بأكثر مـن ألف عام وكان ذلك بناء على ما رآه أحبار اليهود المعروفون بالـ «مَسُورِيّين»، وفيها من الأغلاط المقصودة وغير المقصودة ما يعترف به أشهر علمائهم من أمثال «جيمس بار» وغيره. وعليه فلا يُسلَّم لأولئك البُهتِ بأن الكلمة محرَّكة بالكسر لا الفتـح. وبمعنـى "الأرض القاحلة" تُرجم (إشـعياء ٢٥: ٥) "كحَرٍّ في يَبَـسٍ [صَيـون] تخفض ضجيج الأعاجم"، وكذا (إشـعياء ٣٢: ٢) "كـسـواقي مـاءٍ في مـكان يابِس [صَيون]." وبه ينبغـي أن يترجم نص المزامير أعلاه هكذا "يُرون قدام الله بأرض غير ذات زرع."

وليـس المقصود هنا مجرد نظر الله إليهم، فالله لا تخفى عليه أعمال عباده في حج أو غيره فهو الـسـميع البصير، وإنما المراد ما بيَّنه المصطفى ﷺ بقولـه: "إن الله يباهـي بأهـل عرفـات ملائكة أهل الـسـماء فيقول: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثاً غبراً."[1]

ختامـاً: أورد النـص العـربي كـما في ترجمة «فان دايـك» ثم نص الترجمـة التي اعتمدتُ فيها "الأصل" العبراني مع الحرص على منطِقية الـسـياق وجلاء المعاني؛ ليرى القارئ كيف أسـهم المترجمون في طمس

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٨٥٢) والحاكم في المستدرك (١٧٠٨).

إشاراتٍ جلية إلى الرسالة الخاتمة.

ترجمة «فان دايك»:

"طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبّحونك؛ طوبى لأناس عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم؛ عابرين في وادي البكاء يصيِّرونه ينبوعاً، أيضاً ببركاتٍ يُغطّون مورة؛ يذهبون من قوة إلى قوة، يُرَون قدام الله في صهيون."

ترجمة الباحث: "طوبى للعاكفين في بيتك، دأَباً يهلّلونك.[1]

طوبى لأناس عِزُّهم بك، فِجاج بيتك في قلوبهم، البادين بِوادي «بَكّة»، من عينٍ يشربون، ومن بركات المشرِّع ينعمون، من جبلٍ إلى جبلٍ يسعَون، ينظر الله إليهم بأرض غير ذات زرع."

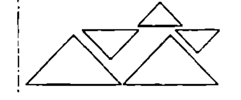
---

(١) "يهلّلوخا" في النص العبراني. والتهليل – قول "لا إله إلا الله" – والتكبير في الحج أظهر من التسبيح.

ختاماً: أقول للقس «جورج بوش» واللاهوتي «روزنمولر» اللذين أرادا صرف البشارة عن مكة فما أفلحا: إن المسلمين الذين تخافان أن "يسيئوا مقصدكما" يقرؤون قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [البقرة ١٤٥-١٤٧].

الفصل الرابع

أمته ﷺ ترث الأمم



التمثال والحجر

يذكر سفر دانيال من العهد القديم أن الملك البابلي بختنصر رأى ذات ليلة رؤيا فأصبح يسأل عنها المفسرين فدُلَّ على دانيال النبي لاشتهاره بتأويل الأحاديث، فأجابه: «رَأَيْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَإِذَا بِتِمْثَالٍ عَظِيمٍ ضَخْمٍ كَثِيرِ الْبَهَاءِ وَاقِفاً أَمَامَكَ وَكَانَ مَنْظَرُهُ هَائِلاً. وَكَانَ رَأْسُ التِّمْثَالِ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ، وَصَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ، وَبَطْنُهُ وَفَخْذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ، وَسَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ، وَقَدَمَاهُ خَلِيطٌ مِنْ حَدِيدٍ وَمِنْ خَزَفٍ. وَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي الرُّؤْيَا انْقَضَّ حَجَرٌ لَمْ يُقْطَعْ بِيَدِ إِنْسَانٍ، وَضَرَبَ التِّمْثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ الْمَصْنُوعَتَيْنِ مِنْ خَلِيطِ الْحَدِيدِ وَالْخَزَفِ فَسَحَقَهُمَا، فَتَحَطَّمَ الْحَدِيدُ وَالْخَزَفُ وَالنُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ مَعاً، وَانْسَحَقَتْ وَصَارَتْ كَعُصَافَةِ الْبَيْدَرِ فِي الصَّيْفِ، فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التِّمْثَالَ فَتَحَوَّلَ إِلَى جَبَلٍ كَبِيرٍ وَمَلأَ الأَرْضَ كُلَّهَا. هَذَا هُوَ الْحُلْمُ.»

ثم فسر دانيال الرؤيا بقوله:

"أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ هُوَ مَلِكُ الْمُلُوكِ، لأَنَّ إِلَهَ السَّمَوَاتِ أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِمَمْلَكَةٍ وَقُدْرَةٍ وَسُلْطَانٍ وَمَجْدٍ، وَوَلاَّكَ وَسَلَّطَكَ عَلَى كُلِّ مَا يَسْكُنُهُ

أَبْنَاءُ الْبَشَرِ وَوُحُوشُ الْبَرِّ وَطُيُورُ السَّمَاءِ. فَأَنْتَ الرَّأْسُ الَّذِي مِنْ ذَهَبٍ. ثُمَّ لاَ تَلْبَثُ أَنْ تَقُومَ مِنْ بَعْدِكَ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى أَقَلُّ شَأْناً مِنْكَ، وَتَلِيهَا مَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مُمَثَّلَةٌ بِالنُّحَاسِ فَتَسُودُ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ. ثُمَّ تَعْقُبُهَا مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ صَلْبَةٌ كَالْحَدِيدِ، فَتُحَطِّمُ وَتَسْحَقُ كُلَّ تِلْكَ الْمَمَالِكِ كَالْحَدِيدِ الَّذِي يَدُقُّ وَيَسْحَقُ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَمَا رَأَيْتَ أَنَّ الْقَدَمَيْنِ وَالأَصَابِعَ هِيَ خَلِيطٌ مِنْ خَزَفٍ وَحَدِيدٍ، فَإِنَّ الْمَمْلَكَةَ تَكُونُ مُنْقَسِمَةً فَيَكُونُ فِيهَا مِنْ قُوَّةِ الْحَدِيدِ، بِمِقْدَارِ مَا شَاهَدْتَ فِيهَا مِنَ الْحَدِيدِ مُخْتَلِطاً بِالْخَزَفِ. وَكَمَا أَنَّ أَصَابِعَ الْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ، فَإِنَّ بَعْضَ الْمَمْلَكَةِ يَكُونُ صَلْباً وَالْبَعْضَ الآخَرُ هَشّاً. وَكَمَا رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مُخْتَلِطاً بِخَزَفِ الطِّينِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ تَعْقِدُ صِلاَتِ زَوَاجٍ مَعَ مَمَالِكِ النَّاسِ الأُخْرَى، إِنَّمَا لَا يَلْتَحِمُونَ مَعاً، كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ لاَ يَخْتَلِطُ بِالْخَزَفِ.

وَفِي عَهْدِ هَؤُلاَءِ الْمُلُوكِ يُقِيمُ إِلَهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لاَ تَنْقَرِضُ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يُتْرَكُ مُلْكُهَا لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُبِيدُ جَمِيعَ هَذِهِ الْمَمَالِكِ. أَمَّا هِيَ فَتَخْلُدُ إِلَى الأَبَدِ. لأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّ الْحَجَرَ الْمُنْقَضَّ الَّذِي لَمْ يُقْطَعْ مِنَ الْجَبَلِ بِيَدَيْنِ، قَدْ سَحَقَ الْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ وَالْخَزَفَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ. إِنَّ اللهَ الْعَظِيمَ قَدْ أَطْلَعَ الْمَلِكَ عَمَّا سَيَحْدُثُ فِي الأَيَّامِ الآتِيَةِ؛ فَالْحُلْمُ حَقِيقَةٌ وَتَفْسِيرُهُ صِدْقٌ." [دانيال ٢: ٢٩-٤٥]

أما الممالك الأربع فيفسرها القديس جيروم بأنها المملكة البابلية، ثم الميدية/ الفارسية، ثم الإسكندرية/ المقدونية، ثم الرومية. يقول: "... من الواضح أن الإمبراطورية الأولى، البابلية، تقارن هنا بأثمن معدن، وهو الذهب ... إمبراطورية الميديين والفارسيين تشبه الفضة ... «وَتَلِيهَا مَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مُمَثَّلَةٌ بِالنُّحَاسِ»، هذا يشير إلى الإمبراطورية الإسكندرية [المقدونية] ... أما الإمبراطورية الرابعة التي تشير بجلاء إلى الروم، فهي الإمبراطورية الحديدية التي تحطم وتغلب الممالك الأخرى."[1]

وقد علق على هذا الرأي الأسقف الإنجليزي «توماس نيوتن» في كتابه «رسائل في النبوءات» بقوله: "كل الكُتَّاب الأوائل، يهودٍ ونصارى، يتفقون مع «جيروم» في تفسيره المملكة الرابعة بالروم."[2]

فمن مشاهير آباء الكنيسة الذين يذهبون هذا المذهب القديسُ

---

(1) St. Jerome. Jerome's Commentary on Daniel (Baker Book House, 1977), p. 31.

(2) Thomas Newton. Dissertations on the Prophecies (London: Longman & Company, 1832), p. 183.

«هيوليتوس» الذي قال بنفس الرأي في تعليقه على سفر دانيال؛[1] وكذا القديس «كيرلس الأورشليمي» في محاضراته العقدية.[2] أما المفسر الشهير «متّى هِنري» فعبر عن ذلك بقوله: "«الساقان والقدمان الحديديان» إشارة إلى المملكة الرومية."[3] وكونها ساقين وقدمين فيه إشارة إلى انقسامها إلى إمبراطورية رومية غربية وأخرى شرقية.

ولكن ماذا عن الحجر الذي دك التمثال وتحول إلى جبل كبير وملأ الأرض كلها؟

إن أغلب النصارى - كعادتهم - لا يترددون في القول بأن هذه مملكة المسيح ﷺ. وهذا مجرد زعم لا يقوم على دليل لما يلي:

(1) Alexander Roberts et al. The Ante-Nicene Fathers, Translations of the Writings of the Fathers Down to A.D. 325. (Oak Harbor: Logos Research Systems, 1997), vol. V, p. 187.
(2) Philip Schaff. The Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series (Oak Harbor: Logos Research Systems, 1997), vol. VII, p. 108.
(3) Matthew Henry: Matthew Henry's Commentary on the Whole Bible: Complete and Unabridged in One Volume. (Peabody: Hendrickson, 1996, c1991), Da 2:31.

أولاً: جاء في العهد الجديد أنه لما سأل بيلاطسُ المسيحَ ﷺ: "إِنَّ أُمَّتَكَ وَرُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ سَلَّمُوكَ إِلَيَّ. مَاذَا فَعَلْتَ؟". أجاب قائلاً: "لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. وَلَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. أَمَّا الآنَ فَمَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هُنَا." [يوحنا ١٨: ٣٥، ٣٦] فهي مملكة روحية.

ثانياً: جاء في تأويل الرؤيا أن الحجر أو المملكة الأبدية ستسحق غيرها من الممالك، ولم نر هذا من المسيح ﷺ وأتباعه، بل لقوا من الاضطهاد والمعاناة الشيء الكثير، حتى إن أعداءهم حاولوا قتل المسيح ﷺ فنجاه الله تعالى، بل إن النصارى يرون أنه قتل فعلاً وصلب؛ فمتى كان سحقهم للممالك الأخرى؟

ثالثاً: من قال إن نصرة النصارى كانت على يد الإمبراطور الوثني الرومي «قسطنطين»، فهو لا يعرف حقيقة الرجل، فقد كان من عباد الإله الوثني (Sol Invictus) أو «الشمس التي لا تقهر»، وهو الذي بدل دين النصارى كما سيأتي بيان ذلك عند شرح الإصحاح السابع من سفر دانيال.

رابعاً: أورد المؤرخ اليهودي «فلافيوس يوسيفوس» هذه الرؤيا

في كتابه «عاديات اليهود»، لكنه لما بلغ الحديث عن الحجر قال: "لقد بَيَّن دانيالُ أيضاً معنى الحجر للملك، لكنني لا أرى ذكره مناسباً، لأنني إنما أخذت على نفسي وصف الأمور الماضية والحاضرة، لا الأمور المستقبلة."[1]

ومن المعلوم أن «يوسيفوس» (٣٧-١٠٠م) عاش بعد المسيح ﷺ، وكتابه هذا كتبه في نهاية القرن الأول الميلادي (٩٤م تقريباً)، ومع ذلك فإنه يصرح أن تفسير الحجر المذكور في الرؤيا لم يقع بعد، فدل على أن تأويلها ليس في زمن المسيح ﷺ. لكننا لا ندري لِمَ لَمْ يرَ ذكرها. يعلل هذا «قاموس التفسير اللاهوتي للكتاب المقدس» بقوله: "يَعُدُّ «يوسيفوس» روما المملكةَ الرابعةَ في (دانيال ٢)، لكنه يرفض التعليق على الحجر، ربما لئلا يجرح مشاعر القراء الروم بحديثه عن سقوط روما. ولعل هذا يفسر تجاهله لـ (دانيال ٧)."[2]

(1) Flavius Josephus. Jewish Antiquities (Wordsworth Editions, 2006), p. 438.

(2) Kevin J. Vanhoozer, et al. Dictionary for Theological Interpretation of the Bible (Baker Academic, 2005), p. 156.

وهـذا سـبب وجيـه؛ لأن «يوسـيفوس» كان من بطانـة أباطرة الروم. ولكن هل يمكن أن يكون ثمة سبب آخر وهو أنه عرف من هو الحجـر، لكنـه - كحال غيره من اليهود - لم يُرد أن يبوح بوصف النبي محمـد ﷺ وأمتـه؟ هذا أيضاً محتمل خصوصـاً إذا علمنا أن هذه الرؤيا متعلقة برؤيا دانيال في الإصحاح السابع الذي تجاهله «يوسيفوس».

فما الذي يمثله الحجر؟ إنه المملكة التي دكت عروش الأكاسرة الفـرس والقيـاصرة الروم و"لم تُقطع بيد إنسـان" بـل قامت على وحي إلهـي. قال شـيخ الإسـلام ابـن تيمية: "فهـذا نعت محمـد ﷺ لا نعت المسيح - عليه السلام - فهو الذي بُعث بشريعة قوية ودق جميع ملوك الأرض وأممها حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته في مشارق الأرض ومغاربها وسـلطانه دائـم لم يقدر أحـد أن يزيله كما زال ملـك اليهود وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوسطها."[1]

وقـد قـال الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

* * *

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ٥/ ٢٧٧.

رؤيا الحيوانات الأربعة

هذه الرؤيا تلتقي مع سابقتها في كثير من تفاصيلها؛ فهي تتحدث عن أربع ممالك يتبع بعضها بعضاً، أقواها المملكة الرابعة التي تسحق الممالك الثلاث، وتضطهد "القديسين" - على حد تعبير الرؤيا - لكن الغلبة في نهاية الأمر تكون للقديسين، وتبقى مملكتهم إلى الأبد. يقول «قاموس النبوءة الكتابية ونهاية الزمان»: "بالرغم من أن كُلاًّ من الإصحاحين الثاني والسابع من سفر دانيال يسجل رؤيا منفصلة، إلا أنها يتناولان السيناريو ذاته - تجلي أربع ممالك قوية عبر التاريخ، تبدأ من زمن دانيال."[1]

وقبل الشروع في تفسيرها أفضل إيرادها بتمامها حتى يؤخذ الكلام في سياقه.

"فِي السَّنَةِ الأُولَى لِحُكْمِ بَيْلْشَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ رَأَى دَانِيآلُ حُلْمًا وَرُؤَى، مَرَّتْ بِرَأْسِهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ فِي فِرَاشِهِ، فَدَوَّنَ الْحُلْمَ وَحَدَّثَ بِخُلاَصَةِ الرُّؤْيَا. قَالَ دَانِيآلُ:

(1) J. Daneil Hays, et al. Dictionary of Biblical Prophecy and End Times (Grand Rapids: Michigan, Zondervan, 2009), "Four Beasts of Daniel".

«شَـاهَدْتُ فِي رُؤْيَـايَ لَيْلاً، وَإِذَا بِأَرْبَعِ رِيَاحِ السَّـمَاءِ قَدْ هَجَمَتْ عَلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ، وَمَا لَبِثَ أَنْ صَعِدَ مِنَ الْبَحْرِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ عَظِيمَةٍ يَخْتَلِفُ بَعْضُهَـا عَنْ بَعْضٍ. فَكَانَ الأَوَّلُ كَالأَسَـدِ بِجَنَاحَـيْنِ كَجَنَاحَيِ النَّـسْرِ. وَبَقِيـتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَتَّـى اقْتُلِعَ جَنَاحَاهُ، وَانْتَصَـبَ عَلَى الأَرْضِ وَاقِفـاً عَلَى رِجْلَيْنِ كَإِنْسَـانٍ، وَأُعْطِيَ عَقْلَ إِنْسَـانٍ. وَرَأَيْتُ حَيَوَاناً آخَرَ شَـبِيهاً بِالدُّبِّ، قَائِماً عَلَى جَنْبٍ وَاحِدٍ، وَفِي فَمِهِ بَيْنَ أَسْنَانِهِ ثَلاثُ أَضْلُعٍ وَقِيـلَ لَهُ: «انْهَضْ وَكُلْ لَحْماً كَثِـيراً»، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ هَذَا حَيَوَاناً آخَرَ مِثْلَ النَّمِـرِ، لَهُ عَلَى ظَهْرِهِ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ كَأَجْنِحَـةِ الطَّائِرِ، وَكَانَ لِهَذَا الْحَيَوَانِ أَرْبَعَـةُ رُؤُوسٍ، وَفُوِّضَتْ إِلَيْهِ سُـلْطَاتٌ. وَشَـهِدْتُ بَعْـدَ ذَلِكَ فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَوَانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَـدِيدٍ جِداً، ذِي أَسْـنَانٍ ضَخْمَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، افْتَرَسَ وَسَـحَقَ وَدَاسَ مَا تَبَقَّى بِرِجْلَيْـهِ. وَكَانَ يَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي قَبْلَهُ وَلَهُ عَشَرَةُ قُرُونٍ. وَفِيمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ الْقُرُونَ إِذَا بِقَـرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ نَبَتَ بَيْنَهَا، وَاقْتُلِعَـتْ ثَلاثَةُ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِهِ، وَكَانَ فِي هَذَا الْقَرْنِ عُيُونٌ كَعُيُونِ الإِنْسَـانِ وَفَمٌ يَنْطِقُ بِعَظَائِمِ. وَفِيمَا كُنْتُ أَنْظُرُ، نُصِبَتْ عُرُوشٌ وَاعْتَلَى الأَزَلِيُّ كُرْسِيَّهُ وَكَانَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيباً مُتَوَهِّجاً وَعَجَلاتُهُ نَاراً مُتَّقِدَةً. وَمِنْ أَمَامِهِ يَتَدَفَّقُ وَيَجْرِي نَهْـرٌ مِنْ نَارٍ، وَتَخْدُمُهُ أُلُوفُ أُلُوفِ الْمَلائِكَةِ، وَيَمْثُلُ

فِي حَضْرَتِهِ عَشَرَاتُ الأُلُوفِ. فَانْعَقَدَ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ. وَبَقِيتُ أُرَاقِبُ الْقَرْنَ مِنْ جَرَّاءِ مَا تَفَوَّهَ بِهِ مِنْ عَظَائِمِ، حَتَّى قُتِلَ الْحَيَوَانُ وَتَلِفَ جِسْمُهُ وَطُرِحَ وَقُوداً لِلنَّارِ. أَمَّا سَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ فَقَدْ جُرِّدَتْ مِنْ سُلْطَانِهَا، وَلَكِنَّهَا وُهِبَتِ الْبَقَاءَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ لِزَمَنٍ مَا.

وَشَاهَدْتُ أَيْضاً فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا بِمِثْلِ ابْنِ الإِنْسَانِ مُقْبِلاً عَلَى سَحَابٍ حَتَّى بَلَغَ الأَزَلِيَّ فَقَرَّبُوهُ مِنْهُ. فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِسُلْطَانٍ وَمَجْدٍ وَمَلَكُوتٍ لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ لاَ يَفْنَى، وَمُلْكُهُ لاَ يَنْقَرِضُ.

أَمَّا أَنَا دَانِيآلَ فَقَدْ رَانَ الْحُزْنُ عَلَى رُوحِي فِي دَاخِلِي وَرَوَّعَتْنِي رُؤَى رَأْسِي. فَاقْتَرَبْتُ مِنْ أَحَدِ الْوَاقِفِينَ أَسْتَفْسِرُ مِنْهُ حَقِيقَةَ الأَمْرِ، فَأَطْلَعَنِي عَلَى مَعْنَى الرُّؤْيَا قَائِلاً:

«هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ الأَرْبَعَةُ الْعَظِيمَةُ هِيَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ يَظْهَرُونَ عَلَى الأَرْضِ. غَيْرَ أَنَّ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ يَسْتَوْلُونَ عَلَى الْمَمْلَكَةِ وَيَتَمَلَّكُونَهَا إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. حِينَئِذٍ أَرَدْتُ أَنْ أَطَّلِعَ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَيَوَانِ الرَّابِعِ الَّذِي كَانَ يَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ، إِذْ كَانَ هَائِلاً جِدّاً ذَا أَسْنَانٍ مِنْ حَدِيدٍ وَمَخَالِبَ مِنْ نُحَاسٍ، وَقَدِ افْتَرَسَ وَسَحَقَ وَدَاسَ مَا تَبَقَّى بِرِجْلَيْهِ. وَعَنِ

الْقُرُونِ الْعَشَرَةِ النَّامِيَةِ فِي رَأْسِهِ، وَعَنِ الْقَرْنِ الآخَرِ الصَّغِيرِ الَّذِي نَبَتَ، فَاقْتُلِعَتْ أَمَامَهُ ثَلاَثَةُ قُرُونٍ. هَذَا الْقَرْنُ ذُو الْعُيُونِ النَّاطِقُ بِالْعَظَائِمِ وَمَنْظَرُهُ أَشَدُّ هَوْلاً مِنْ رِفَاقِهِ. وَقَدْ شَهِدْتُ هَذَا الْقَرْنَ يُحَارِبُ الْقِدِّيسِينَ وَيَغْلِبُهُمْ. إِلَى أَنْ جَاءَ الأَزَلِيُّ وَانْعَقَدَ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ الَّذِي فِيهِ تَبَرَّأَتْ سَاحَةُ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ، وَأَزِفَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ امْتَلَكُوا الْمَمْلَكَةَ. فَأَجَابَ: إِنَّ الْحَيَوَانَ الرَّابِعَ هُوَ رَمْزٌ لِلْمَمْلَكَةِ الرَّابِعَةِ عَلَى الأَرْضِ، وَهِيَ تَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْمَمَالِكِ لأَنَّهَا تَسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ الأَرْضِ وَتُخْضِعُهَا وَتَسْحَقُهَا. أَمَّا الْقُرُونُ الْعَشَرَةُ مِنْ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ فَهِيَ عَشَرَةُ مُلُوكٍ يَتَوَلَّوْنَهَا، ثُمَّ يَقُومُ بَعْدَهُمْ مَلِكٌ آخَرُ يَخْتَلِفُ عَنِ الْمُلُوكِ السَّالِفِينَ، وَيُخْضِعُ ثَلاَثَةَ مُلُوكٍ، وَيُعَيِّرُ الْعَلِيَّ وَيُنَكِّلُ بِقِدِّيسِيهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُغَيِّرَ الأَوْقَاتَ وَالْقَوَانِينَ، فَيُذِلُّ الْقِدِّيسِينَ ثَلاَثَ سَنَوَاتٍ وَنِصْفَ السَّنَةِ [في الأصل الآرامي: "إلى زمان وأزمنة ونصف زمان"]. وَلَكِنْ يَنْعَقِدُ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ، فَيُجَرَّدُ مِنْ سُلْطَانِهِ فَيُدَمَّرُ وَيَفْنَى إِلَى الْمُنْتَهَى.

وَتُوهَبُ الْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَمَالِكِ الْقَائِمَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ إِلَى شَعْبِ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ، فَيَكُونُ مَلَكُوتُ الْعَلِيِّ مَلَكُوتاً أَبَدِيّاً، وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السَّلاَطِينِ وَيُطِيعُونَهُ. إِلَى هُنَا خِتَامُ الرُّؤْيَا. أَمَّا أَنَا دَانِيآلَ فَقَدْ رَوَّعَتْنِي أَفْكَارِي كَثِيراً وَتَغَيَّرَتْ هَيْبَتِي، وَلَكِنِّي كَتَمْتُ الأَمْرَ فِي قَلْبِي.»

يقول القديس «هيبوليتوس الرومي» شارحاً هذه الرؤيا:

يشير دانيال بذكره الحيوان الأول، أعني الأسد الذي خرج من البحر، إلى مملكة البابليين التي كانت قائمة حينذاك؛ وهو نفسه "رأس الذهب" في التمثال. وبالحديث عن "جَنَاحَيْنِ كَجَنَاحَيِ النَّسْرِ" يبين أن الملك «نبوخذنصر» تعالى وتكبر على الرب. ثم يقول بأن "جَنَاحَيْهِ اقْتُلِعَا"، ويعني بهذا أن مجده قُوض، لأنه أُخرج من مملكته ... وبعد الأسد، يرى النبي حيواناً آخر كالدب، وهو يرمز إلى الفرس ... والثالث كان النمر، ويُقصد به اليونان. لأنه بعد الفرس استولى الملك الإسكندر المقدوني على الحكم لما انتصر على داريوس؛ وهذا يمثله النحاس في التمثال. وفي حديثه عن "أَرْبَعَةِ أَجْنِحَةِ كَأَجْنِحَةِ الطَّائِرِ، وَكَانَ لِهذَا الْحَيَوَانِ أَرْبَعَةُ رُؤُوسٍ" بيَّن بجلاء كيف انقسمت مملكة الإسكندر إلى أربعة أقسام ... ثم يحدثنا عن "حَيَوَانٍ رَابعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدّاً، ذِي أَسْنَانٍ ضَخْمَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَمَخَالِبَ مِنْ نُحَاسٍ." ومَن هو المراد بهذا الوصف إن لم تكن مملكة الروم، وهي المراد كذلك بالحديد الذي به تَسحق عروش الإمبراطوريات التي قبلها، وتسيطر به على

الأرض؟ فـماذا بقي علينا تفسـيره مما رأته الرؤيـا إلا "أَصَابِعَ الْقَدَمَـيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيـدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ قد اختلطا"؟ فبالأصابـع العشرة في التمثال عَنَى مجازاً الملوك العشرة الذين خرجوا منها [مملكة الروم]، كما فسرها دانيال أيضـاً."[1]

ويعلـق مؤلفـو «اللاهـوت الكتابي للعهـد القديم» عـلى الرؤيا بقولهـم: "من الواضح أنها [يعني الحيوانـات] تمثل أربع ممالك متتابعة وملوكَهـا على التـوالي. والـرأي التقليدي المحافظ هـو أن هذه الممالك هي: بابل، والمملكة الميدية/ الفارسية، واليونان، وروما."[2]

فالرأي الذي كان سـائداً في القـرون الأولى ولا يزال يعدُّ الرأي المحافظ في أوسـاط اليهـود والنصارى؛ هو تفسـير الحيوانات الأربعة بممالـك بابل وفارس واليونان والروم عـلى التوالي. وهي الممالك ذاتها التي وردت في الإصحاح الثاني من سفر دانيال.

---

(1) Alexander Roberts, et al. The Ante-Nicene Fathers, vol. V, p. 245.

(2) Roy B. Zuck, et al. A Biblical Theology of the Old Testament (Chicago: Moody Press, 1996, c1991), p. 393.

الجدير بالذكر أن الرؤيا تتحدث عن ممالك أربع كلها استولت على الأرض المقدسة. فمملكة بابل قامت في عهد «نبوبلاسار» عام ٦٢٦ ق.م، الذي كان أولَ ملوكها. ثم خلفه «نبوخذنصر» الذي كان في زمانه دخول فلسطين واستباحة المقدسات وإحراق الهيكل فيما يعرف بالسبي البابلي. ثم توالى ملوك بابل إلى عهد آخرهم «نبونيد».

في عام ٥٣٩ ق.م غزا «قورش» بابل واستطاع أن يخضعها بعد أن استسلم «نبونيد». وبهذا انتهت مملكة البابليين الكلدانية وقامت مملكة الفرس الأخمينية. وكان من أرجى أعمال «قورش» لدى اليهود أن أعادهم إلى الأرض المقدسة، وأذن لهم ببناء الهيكل الثاني. وتوالى ملوك الإمبراطورية الفارسية إلى زمن داريوس الثالث.

في عام ٣٣٢ ق.م استولى «الإسكندر المقدوني» على بيت المقدس، وفي عام ٣٣١ ق.م دمَّر عاصمة الدولة الأخمينية بعد معارك عدة ضد الفرس، وتعقَّب داريوس الثالث الذي قتل قبل أن يدركه على يد «بيسوس» الفارسي؛ وهكذا قامت مملكة اليونان. لكنها بعد موت «الإسكندر» انقسمت بين قادته إلى أربعة أقسام: حكم «كاسندر» في مقدونيا، و«ليسياخوس» في تراقيا، و«سلوقس» في بلاد الرافدين وفارس، و«بطليموس الأول» في بلاد الشام ومصر. ومن

الأخيرين ظهرت سلالتا السلوقيين والبطالمة. وكان من أشهر أباطرة السلوقيين الإمبراطور «أنطيوخس الرابع» الذي استباح بيت المقدس عام ١٦٧ ق.م كما فصلنا. وقد جعل القديس «هيبوليتس» هذا الانقسام تفسيراً لما ورد في الرؤيا من "أَرْبَعَةِ أَجْنِحَةٍ كَأَجْنِحَةِ الطَّائِرِ ... وأَرْبَعَةُ رُؤُوسٍ". وفي السنة ٦٣ ق.م سقطت مملكة السلوقيين اليونانية بعد أن هُزمت من قبل الروم، واستولى الإمبراطور الرومي «بومبي» على بيت المقدس.

هنا أود الحديث عن الحيوان الرابع «مملكة الروم» بشيء من التفصيل. تقول الرؤيا: "وَشَهِدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَوَانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدّاً، ذِي أَسْنَانٍ ضَخْمَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، افْتَرَسَ وَسَحَقَ وَدَاسَ مَا تَبَقَّى بِرِجْلَيْهِ. وَكَانَ يَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي قَبْلَهُ وَلَهُ عَشَرَةُ قُرُونٍ. وَفِيمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ الْقُرُونَ إِذَا بِقَرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ نَبَتَ بَيْنَهَا، وَاقْتُلِعَتْ ثَلاَثَةُ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِهِ، وَكَانَ فِي هَذَا الْقَرْنِ عُيُونٌ كَعُيُونِ الإِنْسَانِ وَفَمٌ يَنْطِقُ بِعَظَائِمَ ... وَبَقِيتُ أُرَاقِبُ الْقَرْنَ مِنْ جَرَّاءِ مَا تَفَوَّهَ بِهِ مِنْ عَظَائِمَ، حَتَّى قُتِلَ الْحَيَوَانُ وَتَلِفَ جِسْمُهُ وَطُرِحَ وَقُوداً لِلنَّارِ."

حاول بعض الشراح أن يجعل من مملكة اليونان المملكة الرابعة، وفي سبيل ذلك قَسَّم مملكة الأخمينين إلى مملكتين: الميدية والفارسية. وهذا من التكلف؛ فإن المملكة الميدية انضوت تحت المملكة الفارسية منذ عهد «قورش» فلا يمكن أن تكونا حيوانين مختلفين، إذ إن الرؤيا تجعل الممالك الأربع حيوانات متباينة تماماً. ولهذا لما تحدثت عن انقسام مملكة اليونان لم تجعلها حيوانات وإنما جعلتها أجنحة ورؤوساً للحيوان نفسه.

إن المملكة الرابعة هي مملكة الروم كما هو رأي علماء أهل الكتاب في القديم، لكنه لما ظهر الروم على فلسطين وخربوا المسجد الأقصى بعد زمن المسيح ﷺ أسقط في أيديهم، فالمملكة الأبدية ظهرت – على حد زعمهم – برسالة المسيح ﷺ ولكن أعقبها اضطهاد عظيم للنصارى. لذا ذهب البعض إلى أن المملكة الرابعة هي مملكة اليونان والقرن الصغير هو «أنطيوخس الرابع»، في محاولة لجعل المملكة الرابعة سابقة للمملكة الأبدية التي جاء بها المسيح ﷺ. وسلَّم آخرون بأن المملكة الرابعة هي الروم، لكن جعلوا المملكة الأبدية عند نزول المسيح ﷺ في آخر الزمان.

من سمات المملكة الرابعة أن يخرج منها عشرة قرون أو ملوك كما فسرها دانيال. وليس المراد عدد الملوك كلهم، فإن ملوك السلالة السلوقية اليونانية وحدها أكثر من هذا العدد. لكن الرؤيا تتحدث عن ممالك سيطرت على الأرض المقدسة، فناسب أن يكون الملوك ممن ارتبط تاريخهم بالأرض المقدسة. ونحن عندما نقرأ تاريخ الإمبراطورية الرومية نجد أن عشرة من ملوكها عُرفوا باضطهاد النصارى حتى تواطأ مؤرخو النصارى على تسمية حقبتهم بـ «الاضطهادات العشرة». يعدد هذه الاضطهاداتِ القمص أثناسيوس فهمي جورج في كتابه «الاستشهاد في فكر الآباء» تحت فصل بعنوان «الاضطهادات العشرة التي عبرت على الكنيسة في العصر الروماني»، فيقول:

١. الاضطهاد الأول تحت حكم الإمبراطور نيرون سنة ٦٤ م.

٢. الاضطهاد الثاني تحت حكم الإمبراطور دوميتيان سنة ٨١ م.

٣. الاضطهاد الثالث الذي بدأ في عصر تراجان سنة ١٠٦ م.

٤. الاضطهاد الرابع تحت حكم مرقس أوريليوس أنطونيوس عان ١٦٦ م.

٥. الاضطهاد الخامس الذي بدأ مع ساويرس عام ١٩٣ م.

٦. الاضطهاد السادس في عهد مكسيميانوس التراقي سنة ٢٣٥ م.

٧. الاضطهاد السابع في عهد ديسيوس سنة ٢٥٠ م.

٨. الاضطهاد الثامن على يد فاليريان الطاغية سنة ٢٥٧ م.

٩. الاضطهاد التاسع في عهد أوريليان سنة ٢٧٤ م.

١٠. الاضطهاد العاشر في عهد دقليديانوس سنة ٢٨٤ م.(١)

يضيف دانيال بعد حديثه عن الملوك العشرة قائلاً: "وَفِيمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ الْقُرُونَ إِذَا بِقَرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ نَبَتَ بَيْنَهَا، وَاقْتُلِعَتْ ثَلاَثَةٌ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِهِ".

هذا القرن هو «قسطنطين الكبير» كما أشار إلى ذلك القس الكاثوليكي الأسبق «ديفيد بنجامين كلداني» في كتابه «محمد ﷺ كما

(١) انظر النسخة الإلكترونية للكتاب على هذا الرابط:
http: / /www.ixoyc.net /data /Books /36.htm.

ورد في كتـاب اليهـود والنصارى».[1] فهذا الملك ظهـر في زمن الملوك العشرة قبل هلاك دقليديانوس، فكأنه نبت بينها. وأما الأباطرة الثلاثة الذين تساقطوا أمامه كما تساقطت القرون الثلاثة فهم: منافسه الرئيس «مكسنتيوس»، و«مكسيمنوس دايا»، وأخيراً «ليسينيوس».

فبعـد هلاك «قسطنطيوس» الأب الذي كان كبـير الأباطرة في الغـرب (أو «أغسطس»[2] الغـرب) عـام ٣٠٦م، أصبح مـا كان تحته مـن بريطانيا وبلاد الغال وجنودها تبعاً للابن «قسطنطين»، مما اضطر «جاليريـوس» - أغسـطس الشرق - إلى منحه لقـب «القيصر» مخافة الدخول في حرب أهلية، لكنه شُغل بالتمرد الذي قام به «مكسنتيوس بن مكسيميان» إذ لم يعين «قيصراً» لما نُفي أبوه.[3]

---

(١) عبد الأحد داود. محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧ هـ)، ص ٧٢.

(٢) أغُسطُس: لقب روماني يطلق على أباطرة الروم ويعني "العظيم" أو "الجليل" أو "المهيب". لكنه في ظل المملكة المنقسمة التي عاش «قسطنطين» في أثنائها أصبح يطلق على كبير الأباطرة في الشرق وكبير الأباطرة في الغرب. وما سواهما من الأباطرة يسمى «قيصراً».

(3) Jonathan Bardill. Constantine: Divine Emperor of the Christian Golden Age (Cambridge University Press, 2011), p. 83.

استطاع المتمرد «مكستيوس» بدعم من الحرس الجمهوري أن يستحوذ على إيطاليا وشمال إفريقيا وأعلن نفسه «أغسطس» الغرب. وبرغم كرهه لقسطنطين تحالف معه ضد «جالريوس»، واستطاع أن يقتل قيصر الغرب «ساويرس». لكن «جالريوس» نصب «ليسينيوس» مكان «ساويرس» ومنحه لقب «أغسطس» الشرق.

في عام ٣٠٧م تزوج قسطنطين من ابنة «مكسيميان» الذي كان قد عُزل مكرهاً عن منصب «أغسطس» الغرب، فأصبح قسطنطين يحكم بوصفه «أغسطس» بناء على الحق الذي منحه إياه «مكسيميان». لكنه فقد هذا الحق عام ٣١٠م لما تمرد عليه «مكسيميان»، فقام قسطنطين ضده وانتهى الأمر بانتحار «مكسيميان» كما يذكر المؤرخون.[1] لكنه استعاض عن فقدان ذلك الحق بأن زعم أنه من نسل الإمبراطور الرومي «كلوديوس الثاني».

لما هلك «جالريوس» أصبح الجزء الغربي من الإمبراطورية تابعاً لـ «ليسينيوس» و«مكسيمينوس دايا». هنا عقد قسطنطين حلفاً مع «ليسينيوس» للقضاء على أغسطس الغرب «مكستيوس» وكذا

---

(1) Josef Lössl. The Early Church: History and Memory (Continuum International Publishing Group, 2010), p. 208.

المنافس الشرقي «مكسيمنوس دايا». ولتوثيق الأصرة زوج أخته «ليسينيوس». واستمر هذا الحلف إلى عام ٣١٦م.[1]

تمكّن قسطنطين من هزيمة وقتل أغسطس الغرب «مكسنتيوس» في معركة «جسر ميلفيو» الشهيرة عام ٣١٢م. أما «ليسينيوس» فاتجه شرقاً وأخضع المنافس «مكسيمنوس دايا». وهكذا لم يتبق من منافسي قسطنطين إلا «ليسينيوس».

بحلول عام ٣١٦م كان الخلاف قد دبَّ بين قسطنطين وليسينيوس، وقامت بينهما حربان استَغل فيهما قسطنطينُ اضطهاد «ليسينيوس» للنصارى لتحريض الإمبراطورية ضده. كانت الحرب الأخيرة منهما عام ٣٢٤م، وانتهت بعزل «ليسينيوس» ومصادرة أملاكه، بعد وساطة من زوجته. لكن قسطنطين لم يطمئن له فقتله عام ٣٢٥م. وهكذا أصبح القرن الصغير إمبراطوراً بعد أن قلع ثلاثة قرون أمامه هي: «مكسنتيوس» و«مكسيمنوس دايا» و«ليسينيوس».[2] وهذا ما عبر عنه النبي دانيال بقوله: "ثُمَّ يَقُومُ بَعْدَهُمْ مَلِكٌ آخَرُ يَخْتَلِفُ

(1) Timothy D. Barnes. Constantine and Eusebius (Harvard University Press, 1981), p. 62.

(٢) المرجع السابق.

عَنِ الْمُلُوكِ السَّالِفِينَ، وَيُخْضِعُ ثَلاَثَةَ مُلُوكٍ."

قال دانيال بعد ذلك: "وَيُعَبِّرُ الْعَلِيَّ وَيُنَكِّلُ بِقِدِّيسِيهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُغَيِّرَ الأَوْقَاتَ وَالْقَوَانِينَ، فَيُذِلُّ الْقِدِّيسِينَ ثَلاَثَ سَنَوَاتٍ وَنِصْفَ السَّنَةِ."

وفي ترجمة «فان دايك» العربية: "وَيَتَكَلَّمُ بِكَلاَمٍ ضِدَّ الْعَلِيِّ وَيُبْلِي قِدِّيسِي الْعَلِيِّ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ يُغَيِّرُ الأَوْقَاتَ وَالسُّنَّةَ، وَيُسَلَّمُونَ لِيَدِهِ إِلَى زَمَانٍ وَأَزْمِنَةٍ وَنِصْفِ زَمَانٍ."

أما الترجمة الحرفية للأصل الآرامي فكما يلي: "وبكلام ضد العلي يتكلم، ولقديسي العلي يُبلي، ويسعى لتغيير الأزمنة والشريعة، ويوهبون بيده إلى زمان وأزمنة ونصف زمن." وهي قريبة من الترجمة أعلاه، إلا أنها أدق، وهذا يسهم في تفسير النص كما ينبغي. فقوله "ويظن أنه يغير" في ترجمة «فان دايك» صحيحة، لكن ترجمة «كتاب الحياة» أنسب للسياق وتشهد لها معاجم الآرامية. وأما "زمان وأزمنة ونصف زمان" فإنها غير محددة بالسنوات بل هي كما أثبتناه.

تنص الفقرة على أن من صفات الملك الأخير «قسطنطين» ما يلي:

١. يتكلم في الله ﷻ بعظائم.

٢. يُبلي ("يَبَلّي" بالآرامية) قديسي العلي، أي أن الدين يضمحل تدريجياً في عهده.

٣. يسعى لتغيير الأزمنة والشريعة.

٤. يظل القديسون تحت حكمه "زماناً وأزمنة ونصف زمان".

فهل كان قسطنطين كما وصف؟ ألم يعتنق النصرانية وينتصر لها ويقيم المجامع الكنسية؟ لمعرفة الحقيقة أنقل من كتاب «الدم المقدس، الكأس المقدسة»:

تحول قسطنطين إلى النصرانية لا يبدو نصرانياً على الإطلاق، بل كان وثنياً بلا استحياء ... فحسب شاهد العيان الذي كان مرافقاً لجيش قسطنطين حينها، كانت الرؤيا التي رآها لإله الشمس «سول إنفيكتوس» (الشمس التي لا تقهر) ... قسطنطين لم يجعل النصرانية الدين الرسمي لروما. بل كان الدين الرسمي لروما في ظل قسطنطين عبادة الشمس الوثنية؛ وعمل قسطنطين طوال حياته باعتباره كاهناً رئيساً لها. لقد سُمي عهده "إمبراطورية الشمس" ... إنه لم يُعمَّد حتى عام

٣٣٧م بعـد أن صار طريحاً على فراش الموت، غير مكترث أو عاجـزاً عن المقاومة ... كانت نحلة «الشـمس التي لا تقهر» في جوهرهـا اتحادية فمهدت الطريـق لاتحادية النصرانية. كما أنها كانت متسـاهلة في جوانب أخرى، فأدى هذان العاملان إلى تعديل النصرانية، وتسـهيل انتشـارها. فمثـلاً صدر عام ٣٢١م مرسـوم يقـضي بأن قسـطنطين يأمر بإغـلاق المحاكم القانونية في "يوم الشمس المبجل" وأن يكون يوم عطلة. بعد أن كان النصـارى يعدون سـبت اليهود مقدسـاً ... وفي عام ٣٢٥م دعـا إلى عقد مجمـع «نيقية» وفيه تم إقـرار تاريخ عيد الفصـح، وصيغت قوانين لتبرز سـلطة الأسـاقفة ... والأهم مـن هـذا كلـه أن مجمع نيقيـة قـرر بالتصويت أن عيسـى إله وليس بشـراً نبياً.[1]

لقد اسـتوفى قسـطنطين ثلاثة من الأوصاف المذكورة في النص. فأما كلامه في الله بعظائم فزعمه أن الشـمـس إلـه الكون، وكذا نُصرته لأهل الشرك في مجمع نيقية الذي أُقرت فيه عقيدة النصارى الزاعمة أن

---

(1) Michael Baigent, et al. Holy Blood, Holy Grail (Dell Publishing, 1983), p. 365-368.

عيسى هو الله أو ابن الله. ويكفي في بيان عظم ما افتروا قول الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]. وقوله فيمن نسب إليه الولد: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

وأما كون القديسين يبلون في زمنه فهو من جراء صَهرِه عقائد الوثنية الرومية وعقائد النصرانية في قالب واحد هو الكنيسة الكاثوليكية الرومية التي صارت تضطهد كل من خالفها وإن كان نصرانياً، وبهذا درست معالم دين المسيح ﷺ وقل أتباعه، حتى لم يبق إلا قلة قليلة جداً يوم بعث النبي محمد ﷺ.

وأما تغييره للأزمان فإنه أصدر مرسوماً يقضي بجعل يوم الأحد ("Sun-day" يوم الشمس) يوم عطلة بدل يوم السبت تمجيداً لمعبوده الشمسي. جاء في هذا المرسوم: "في يوم الشمس المبجل، على القضاة والشعب الذين يقطنون المدن أن يتخذوا عطلة، وأن تُغلق كل المحلات."[1] كما حدد في زمانه عيد الفصح الوثني.

بقي قوله "ويوهبون [أو "يُسلَّمون"] بيده إلى زمان وأزمنة ونصف زمن". فهو يشير إلى المدة التي يحكم فيها هذا الملك قديسي العلي. وقد اختلف في حسابها على أقوال كثيرة؛ فالقديس «أوغسطين» في كتابه «مدينة الرب» يجعلها "عاماً وعامين ونصف عام، أي ثلاثة أعوام ونصف."[2] وذهب غيره إلى أنها المذكورة في (دانيال ١٢ : ٧). وقيل غير ذلك؛ وكله لا يقوم به دليل.

لكن الراجح عندي - والله أعلم بالصواب - أن المراد "مائة ومائتان ونصف المائة"؛ إذ الغالب على استعمال ألفاظ "يوم" و"ساعة" ونحوهما التعبير عن "مائة عام" كما سبق بيانه في غير هذه البشارة، وإنما

(1) Charles B. Arand, et al. Perspectives on the Sabbath: Four Views (B&H Publishing Group, 2011), p. 42.
(2) St. Augustine. The City of God (T. & T. Clark, 1871), vol. II, p. 394.

رجَّحتُ هذا التفسير لأسباب منها:

أولاً: أن صفات المملكة الرابعة لا تنطبق على غير الروم، والقرن الصغير لا ينطبق على غير «قسطنطين» كما بيَّنا، فمن زعم أن المراد مملكة اليونان وإمبراطورها «أنطونيوس الرابع» فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع.

ثانياً: إذا اعتبرنا الزمان في الرؤيا «سنة» واحدة كما زعم «أوغسطين»، أي "عاماً وعامين ونصف عام"، كان ذلك أقل بكثير من مدة حكم «أنطيوخس الرابع» (١٧٥-١٦٤ ق.م) أو «قسطنطين» (٣٠٦-٣٣٧م)، فضلاً عن أن يكون نهاية للمملكة اليونانية أو المملكة الرومية.

ولو اعتبرنا الزمان «عقداً» فأولناها "عقداً وعقدين ونصف عقد"، لم يتفق ذلك مع مدة حكم «أنطيوخس»، وكان أقل بقليل من مدة حكم «قسطنطين». لكن قسطنطين لم تنته به مملكة الروم ولم تقم بعده المملكة الأبدية، فلا يمكن أن يكون الحساب بالعقود.

ولو عددنا الزمان الوارد في الرؤيا «قرناً»، لزم أن تكون المدة "قرناً وقرنين ونصف قرن" - أي ثلاثة قرون ونصف القرن، وهي

٣٥٠ عاماً تقريباً – بين قيام قسطنطين وبين ظهور مملكة القديسين في بيت المقدس الذين قال عنهم دانيال "وَتُوهَبُ الْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَمَالِكِ الْقَائِمَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ إِلَى شَعْبِ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ، فَيَكُونُ مَلَكُوتُ الْعَلِيِّ مَلَكُوتاً أَبَدِيّاً، وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السَّلاَطِينِ وَيُطِيعُونَهُ."

وهذا الأخير هو الصواب، والله أعلم؛ فإنه برغم ما تعرضت له مملكة الروم من الغزو والتخريب من قِبل قبائل «القوط الغربيين» وقبائل «الوندال» في القرن الخامس الميلادي إلا أن سيطرتها على الأرض المقدسة لم تنقطع، بل أصبح القدس تابعاً للإمبراطورية الشرقية التي تعرف باسم «الإمبراطورية البيزنطية». واستمر حكم الروم للقدس إلى منتصف القرن السابع باستثناء مدة يسيرة سقطت خلالها بيد الفرس الساسانيين ثم استعيدت من قبل الروم. فمتى إذن ظهرت المملكة الأبدية؟

لمعرفة ذلك علينا أن نتذكر أن قسطنطين جلس على عرش روما عام ٣٠٦م، وأننا لو أضفنا إلى هذا التاريخ ثلاثة قرون ونصف القرن فإننا سنجد أنفسنا في منتصف القرن السابع الميلادي. فماذا كان من شأن الأرض المقدسة في منتصف القرن السابع الميلادي؟

جاء في صحيح البخاري: "وكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ [القدس] وَهِرَقْل سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ! قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا؟ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ. فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ. فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ

وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ! وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ."[1]

وقال ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»:

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوي وهو بإيلياء وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود؛ قال لهم: "إنكم لخليق أن تُقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا". ثم أُمروا بإزالتها، فشرعوا في ذلك، فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن الخطاب.[2]

إن من أعظم أحداث التاريخ في منتصف القرن السابع الميلادي فتح بيت القدس في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، إكراماً من الله لهذه الأمة العظيمة التي وُعد بها في أسفار أهل الكتاب على ألسنة الأنبياء عليهم السلام. قال ابن كثير في تاريخه:

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، (بيروت: المكتبة العصرية)، المجلد الثاني، ٥/ ٢٨١.

"إن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا [بيت القدس] يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه. فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك ... فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان ... ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. ويقال: إنه لبَّى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه وفي الثانية بسورة بني إسرائيل. ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال: ضاهيت اليهودية، ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس وهو العُمري اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه ونقل المسلمون معه في ذلك ...".[1]

---

(١) البداية والنهاية، المجلد الثاني، ٥/ ٢٨١.

أوليس هذا مصداق ما عبر عنه دانيال بقوله: "وَتُوهَبُ الْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَمَالِكِ الْقَائِمَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ إِلَى شَعْبِ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ، فَيَكُونُ مَلَكُوتُ الْعَلِيِّ مَلَكُوتاً أَبَدِيّاً، وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السَّلاَطِينِ وَيُطِيعُونَهُ"؟ سؤال أدع الإجابة عنه للقارئ اللبيب الذي أشهده الله ظهور مملكة القديسين بعد أن تهاوت الممالك الثلاث، فرأى صدق البشارة رأي العين.



الخاتمة

ختــامــاً ..

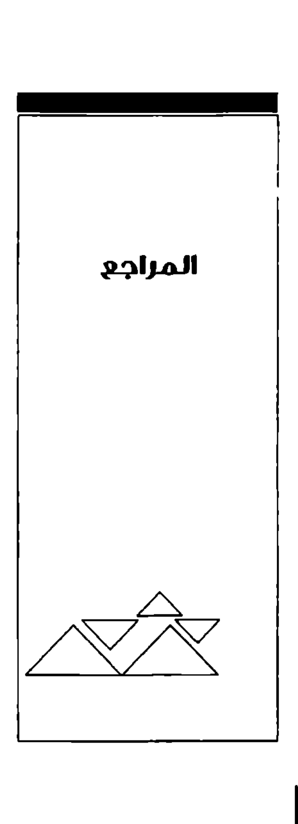
يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ... يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ؛ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي؛ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا؛ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا؛ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ؛ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ» [صحيح مسلم]

أيها القارئ المنصف، إن كنت ممَّن وفقه الله لاتباع نبيه ﷺ فالزم غرزه فقد جاء بالهدى ودين الحق، واحمد الله على نعمة الهداية فإنها لا تعدلها نعمة؛ وإن لم تكن من أتباعه فقد آن أن تنزع عنك لباس الهوى وأن تتجرد للحق؛ فإن الله لا تضره معصيتك، كما لا تنفعه

طاعتـك، فهو الغني وأنـت الفقير. أما لك في أنبيائك أسـوة إذ بشروا بنبي الإسلام ﷺ؟ فَلِم تنكبت صراطهم؟ أم أنك أوتيت من العلم ما لم يؤتـوا!! ألا فـأدرك ركاب المؤمنين قبل أن يترحلوا عنك، فإن السـفر طويل لا يقطعه إلا زاد التقوى. واعلم أن علائق الدنيا متصرِّمة إلا ما ابتُغي به وجه الله، فلا تكن ممن سـعى في الدنيا فلم ينتفع بسـعيه، فإن ذلك من أعظم الحسرات يوم القيامة.

فاللهم لك الحمد أن هديتنا للإسلام، وأرسلت إلينا خير الأنام، الـذي تركَنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. أشـهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

***



المراجع

المراجع العربية:

١. ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩ هـ).
٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٣. ابن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤م).
٤. ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣٠ هـ).
٥. تفسير القرآن العظيم (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٦ هـ).
٦. ابن هشام، السيرة النبوية.
٧. عبد الأحد داود، محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧ هـ).
٨. عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦ هـ).
٩. أثناسيوس فهمي جورج، الاستشهاد في فكر الآباء، (www.ixoyc.net /data /Books /36.htm).

المراجع الأجنبية:

10. Albright, William F. From the Stone Age to Christianity: Monotheism and the Historical Process (Doubleday, 1957).
11. Arand, Charles B., et al. Perspectives on the Sabbath: Four Views (B&H Publishing Group, 2011).
12. Augustine, St. The City of God (T. & T. Clark, 1871).
13. Aurelius, Marcus. The Apology of Tertullian, trans. William Reeve & Jeremy Collier (Griffith Farran & co., 1894).
14. Baigent, Michael, et al. Holy Blood, Holy Grail (Dell Publishing, 1983).
15. Bardill, Jonathan. Constantine: Divine Emperor of the Christian Golden Age (Cambridge University Press, 2011).

16. Barnes, Timothy D. Constantine and Eusebius (Harvard University Press, 1981).

17. Barr, James. Comparative Philology and the Text of the Old Testament (Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns, 1987).

18. Beckwith, Roger. Calendar and Chronology (Boston: Brill Academic Publishers, 2001).

19. Box, G. H. The Apocalypse of Abraham (London: The Macmillan Company, 1918).

20. Bush, Rev. George. Illustrations of the Holy Scriptures (Philadelphia: J.B. Lippincott & Co., 1865).

21. Catholic Encyclopedia, <www.newadvent.org>.

22. Charles, R. H. The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament (Berkeley, CA: The Apocryphile Press, 2004).

23. __________ The Book of Enoch (Forgotten Books: 2007 [First Published in 1917]).

24. __________ The Book of Enoch (Oxford: The Clarendon Press, 1893).

25. Charlesworth, James H. The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament (Harrisburg, PA: Trinity Press International, 1998).

26. Chazon, Esther G., et al., Things Revealed, ed. (Leiden: Brill, 2004).

27. Cheyne, T. K. & J. Sutherland Black, ed. Encyclopedia Biblica (New York: The Macmillan Company, 1899).

28. Clayton, P. A. Chronicle of the Pharaohs (London: Thames and Hudson Ltd., 1994).

29. Collins, John J. Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls (London: Routledge, 1997).

30. __________ Seers, Sibyls and Sages in Hellenistic-Roman Judaism (Boston: Brill Academic Publishers, 2001).

31. Encyclopaedia Britannica.
32. Encyclopedia Judaica (Brill Academic Pub, 1999, CD-ROM Edition).
33. Freedman, David N. ed. The Anchor Bible Dictionary (New York: Doubleday, 1992).
34. Fritzsche, Otto Fridolinus. Libri Veteris Testamenti: Pseudepigraphi Selecti (Lipsiae: F. A. Brockhaus, 1871).
35. Hall, Robert G. "The 'Christian Interpolation' in the Apocalypse of Abraham," in Journal of Biblical Literature (The Society of Biblical Literature, March, 1988).
36. Hays, J. Daneil, et al. Dictionary of Biblical Prophecy and End Times (Grand Rapids: Michigan, Zondervan, 2009).
37. Henry, Matthew. Matthew Henry's Commentary on the Whole Bible: Complete and Unabridged in One

Volume. (Peabody : Hendrickson, 1996, c1991).

38. International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003).

39. James, M. R. The Biblical Antiquities of Philo (Forgotten Books, 2007).

40. Jerome, St., Jerome's Commentary on Daniel (Baker Book House, 1977).

41. Singer, Isidore, ed. Jewish Encyclopedia (New York & London: Funk & Wagnalls Company, 1906).

42. Josephus, Flavius. Jewish Antiquities (Wordsworth Editions, 2006).

43. Kulik, Alexander. Retroverting Slavonic Pseudepigrapha (Atlanta: Society of Biblical Literature, 2004).

44. Laurence, Richrard. The Book of Enoch, the Prophet (Oxford: 1838).

45. Lössl, Josef. The Early Church: History and Mem-

ory (Continuum International Publishing Group, 2010).

46. Neugebauer, Otto. et al. The Book of Enoch: Or I Enoch (Brill, 1985).

47. New Interpreter's Bible (Nashville: Abingdon Press, 1994).

48. Newton, Thomas. Dissertations on the Prophecies (London: Longman & Company, 1832).

49. NIV Study Bible (Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1995).

50. Roberts, Alexander. The Ante-Nicene Fathers: the Writings of the Fathers Down to A.d. 325 (Cosimo, Inc., 2007).

51. Schaff, Philip. The Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series (Oak Harbor : Logos Research Systems, 1997).

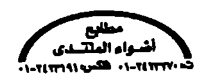
52. Vanhoozer, Kevin J., et al. Dictionary for Theologi-

cal Interpretation of the Bible (Baker Academic, 2005).

53. Zuck, Roy B., et al. A Biblical Theology of the Old Testament (Chicago: Moody Press, 1996, c1991).

الفهرس

الـــموضـــوع	الصفحـة


مطابع
أضواء المنتدى

هذا الكتاب:

"الدنيا مظلمةٌ إلا ما أشرقت عليه شمسُ الرسالة، ولم يُنعم الله على أهل الأرض نعمةً أعظمَ من بعثة نبيِّنا ﷺ، وضرورةُ البشر وحاجتُهم لهذه البعثة أعظمُ الضرورات والحاجات، وما كان الناسُ إليه أحوج فأدلته أكثر وأظهر؛ ومن ذلك دلائلُ نبوةِ محمد ﷺ، فهي لا تكاد تحصى.

ويُعدّ كتاب «**يجدونه مكتوبًا عندهم**» إضافةً مهمةً في إيراد وإيضاح دلائلَ على النبوة المحمدية من خلال الكتب والأسفار القديمة؛ فهو دراسةٌ عميقة، وقراءةٌ فاحصة، وموازناتٌ دقيقة، وجديرٌ بأن يترجم لأشهر اللغات العالمية."

د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف



مكتب مجلة البيان - ص.ب ٢٦٩٧٠ - الرياض ١١٤٩٦
www.albayan.co.uk
sales@albayan.co.uk
هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٥٤٦٨٦٨